دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	فقه الواقع في ضوء القرآن الكريم : أصول وتطبيقات
المؤلف الرئيسي:	بركة، حسن المبروك
مؤلفين آخرين:	عباس، عباس عوض اللهِ(معد)
التاريخ الميلادي:	2009
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 545
رقم MD:	563100
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	فقه الواقع، آيات الأحكام، السور والآيات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/563100

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

المبحث الثالث : الواقع ، وواقعية المنهج القرآني .
المبحث الرابع : خصائص فقه الواقع ومقوماته .

المبحث الأول
عناصر تشكيل الواقع

يتكون الواقع من أربعة عناصر رئيسة : العنصر الطبيعي ، والعنصر البشري ، والعنصر الاجتماعي ، والعنصر الزمني ، وهي تشمل الإنسان والكون والحياة .

أولاً . العنصر الطبيعي .

وهو الجانب الحيوي والفيزيائي من الواقع ، سخره الخالق – ﷻ – لخلقه قاطبة ، بدون تمييز ،قال تعالى : ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (١) .

فالكون هو هذا الخلق ذو الوجود الخارجي الذي يدركه الإنسان ، ويوجه إليه قلبه وعقله في القرآن . هو هذه السموات والأرض ، هذه النجوم والكواكب .. هذه الكائنات الميتة والحية . والظواهر الكونية هي هذه الحياة وهذا الموت ، وهذا الليل وهذا النهار . وهذا النور وهذا الظلام . وهذا المطر والبرق والرعد .. وهذا الظل وهذا الحرور . وهذه الأحوال و الأطوار ذات الوجود الحقيقي ، وذات الآثار الحقيقية (٢) .

ويمكن تحديد معالم هذا الواقع الطبيعي في مركبين :

. الأرض ، وما تحتويه من كنوز وجماد ، وما على ظهرها من نبات ودواب .

الأرض هي مسرح العمليات الإنسانية ، وعليها يدور فلك الحياة ، والقرآن تناولها في كثير من آياته ، ونستطيع حصر موضوعها وتعلقه بالواقع في الآتي :

١ . خلق الأرض بالحق وليست عبثاً .

قال ﷻ : ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ** ﴾ (٣) .

(أولم يتفكروا في أنفسهم) يعني به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي ، وما بينهما ما خلقت سدى ، ولا باطلاً بل بالحق ، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى ، وهو يوم القيامة ، ولهذا قال تعالى : (وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) (٤) .

٢ . بسطها وتثبيتها بالرواسي ، وجعلها مسكناً ومستقراً .

قال جل شأنه :﴿ **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ** ﴾ (٥) . (والأرض مددناها) أي بسطناها (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت ، (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) أي وزن بميزان الحكمة ، وقدر بمقدار تقتضيه ، ولا يصلح فيه زيادة ولا نقصان ، (وجعلنا لكم فيها معايش) أي ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما ، مما تقتضيه ضرورة الحياة ، (ومن لستم له برازقين) أي من الأنعام والدواب وما أشبهها (٦) .

---

١ . سورة الجاثية ، آية ١٣ .
٢ . خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، سيد قطب ، ص ١٧٥ .
٣ . سورة الروم ، آية ٨ .
٤ . تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ٥ / ٧٨ .
٥ . سورة الحجر ، الآيتان ١٩ ، ٢٠ .
٦ . محاسن التأويل ، القاسمي ، ٦ / ٣٣٢ .

وفي قوله تعالى : ﴿**وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾ (١) ، يقول الرازي : المستقر قد يكون بمعنى الاستقرار، وقد يكون بمعنى المكان ، ثم قال : والأكثرون حملوه على المكان ، والمعنى أنها مستقركم حالتي الحياة والموت ، ونظيره قوله تعالى في الأعراف ﴿**قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ** ﴾ (٢) .

٣ . تهيئة الأرض وتزويدها بأسباب المعاش .

قال ﷻ : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً** ﴾ (٣) .

يقول الإمام الشوكاني (٤) – رحمه الله – في تفسير الآية : ((ألم نجعل الأرض كفاتا) بمعنى الكفت . في اللغة : الضم والجمع ، والمعنى : ألم نجعل الأرض ضامة للأحياء على ظهرها والأموات في باطنها ، تضمهم وتجمعهم ، قال الفراء : يريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم ، وتكفتهم أمواتا في بطنها ، أي تحوزهم ، وهو معنى قوله : (أحياء وأمواتا) ، وجعلنا فيها رواسي شامخات أي جبالا طوالا ، والرواسي : الثوابت ، والشامخات : الطوال ، وكل عال فهو شامخ ، (وأسقيناكم ماء فراتا) أي عذبا ، والفرات : الماء العذب يشرب منه ويسقى به) (٥) .

وفي قوله سبحانه : ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ** ﴾ (٦) ، قال صاحب الظلال : إن خالق الأرض وخالق الناس ، هو الذي مكن لهذا الجنس البشري في الأرض . وهو الذي أودع الأرض هذه الخصائص والموافقات الكثيرة التي تسمح بحياة هذا الجنس وتقوته وتعوله ، بما فيها من أسباب الرزق والمعايش..

وهو الذي جعلها مقراً صالحاً لنشأته بجوارها وتركيبها ، وحجمها وبعدها عن الشمس والقمر ، ودورتها حول الشمس، وميلها على محورها ، وسرعة دورانها .. إلى آخر هذه الموافقات التي تسمح بحياة هذا الجنس عليها ، وهو الذي أودع هذه الأرض من الأقوات والأرزاق ، ومن القوى والطاقات ما يسمح بنشأة هذا الجنس وحياته ، وبنمو هذه الحياة ورقيها معاً (٧) .

٤ . تذليل الأرض للحياة .

ذكر الله نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم ، بأن جعلها قارة ساكنة لا تمتد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال ، وأنبع فيها من العيون ، وسلك فيها من السبل ، وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، فقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٨) أي : فسافروا

---

١ . سورة البقرة ، آية ٣٦ . ٢ . انظر مفاتيح الغيب ، الرازي ، ٢ / ١٧ ، والآيتان رقم ٢٤ ، ٢٥ من سورة الأعراف .

٣ . سورة المرسلات ، الآيات ٢٥ – ٢٧ .

٤ . هو محمد بن علي الشوكاني : فقه مجتهد من كبار علماء اليمن ، ولد بهجرة شوكان سنة ١١٧٣ م ، ونشأ بصنعاء ، وولى قضاءها ومات حاكما بها سنة ١٢٥٠ م ، له ١١٤ مؤلفا ، منها : فتح القدير في التفسير ، إشارد الفحول في أصول الفقه ، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الفوائد البهية في الأحاديث الموضوعة . انظر البدر الطالع ٢ / ١٠٦ ، والأعلام ٦ / ٢٩٨ .

٥ . فتح القدير ، الشوكاني ، ٥ / ٤٧٤ . ٦ . سورة الأعراف ، آية ١٠ .

٧ . في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٣ / ١٢٦٢ . ٨ . سورة الملك ، آية ١٥ .

حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا ، إلا أن ييسره الله لكم ، ولهذا قال تعالى : (وكلوا من رزقه) ، فالسعي في السبب لا ينافي التوكل كما روى عن عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله- ﷺ – يقول : (لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً) (١) .

٥ . تسخير الأرض للإنسان ، واستخلافه فيها .

قال ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٢) .

يقول شيخ المفسرين – الطبري – في هذه الآية : أيها الناس (أن الله سخر لكم ما في السموات) من شمس وقمر ونجم وسحاب (وما في الأرض) من دابة وشجر وماء وبحر وفلك ، وغير ذلك من المنافع ، يجري ذلك كله لمنافعكم ومصالحكم ، ولغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذكم ، تتمتعون ببعض ذلك كله ، وتنتفعون بجميعه (٣) .

أما عن الاستخلاف في الأرض فيقول جل شأنه : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ (٤) .

(أي جعلكم تعمرونها جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، وخلفا بعد سلف ، قال ابن زيد كقوله تعالى (ويجعلكم خلفاء الأرض) ... ، وقوله (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) أي فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق والمحاسن والمساوئ والمناظر والأشكال والألوان ، وله الحكمة في ذلك كقوله تعالى : (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ... وقوله تعالى : (ليبلوكم فيما آتاكم) أي يختبركم في الذي أنعم عليكم وامتحنكم به ، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره ، والفقير في فقره ويسأله عن صبره) (٥) .

وقد ورد مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال : (إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت النساء) (٦) .

٦ . المحافظة على صلاح الأرض ، والنهي عن الفساد فيها .

يقول الله في قرآنه:﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٧) .

فيه مسأله واحدة ، وهو أنه سبحانه نهى عن كل فساد قل أو كثر بعد صلاح قل أو كثر (٨) .

---

١ . تفسير ابن كثير ، ٦ / ٢٧٠ ، والحديث أخرجه الترمذي رقم ٢٣٤٤ ، ٤ / ٣٠٢ ، وأحمد في مسنده عن عمر بن الخطاب ، رقم ٢٠٥ ، ١ / ٢٥٢ ، وإسناده صحيح .

٢ . سورة لقمان ، آية ٢٠ .

٣ . جامع البيان ، الطبري ، ٢١ / ٧٧ .

٤ . سورة الأنعام ، آية ١٦٥ .

٥ . تفسير ابن كثير ، ٣ / ١٣١ .

٦ . أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري ، ٤ / ٢٠٩٨ .

٧ . سورة الأعراف ، آية ٥٦ .

٨ . الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ٤ / ١٩٨ .

قال صاحب تفسير المنار (١)– رحمه الله– : أي لا تفسدوا في الأرض بعمل ضائر ، ولا بحكم جائر ، مما ينافي صلاح الناس في أنفسهم كعقولهم وعقائدهم ، وآدابهم الشخصية والاجتماعية ، أو في معايشهم ومرافقهم من زراعة وصناعة وتجارة وطرق مواصلات ووسائل تعاون ، ولا تفسدوا فيها بعد إصلاح الله تعالى لها بما خلق فيها من المنافع ، وما هدى الناس إليه من استغلالها والانتفاع بتسخيرها لهم ، وامتنانه بها عليهم ، بمثل قوله : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ (٢) ، ومن إقامة الحق والعدل والفضيلة فيها ، فالإصلاح الأعظم إنما هو إصلاحه تعالى لحال البشر ، بهداية الدين وإرسال الرسل ، وإكمال ذلك ببعثه خاتم النبيين والمرسلين ، الرحمة العامة للعالمين ، فأصلح به عقائد البشر ببنائها على البرهان ، وأصلح به أخلاقهم وآدابهم بما جمع لهم فيها من مصالح الروح والجسد وما شرع لهم من التعاون والتراحم ، وأصلح سياستهم ونوع الحكم بينهم بشرع حكومة الشورى المقيدة بأصول درء المفاسد وحفظ المصالح والعدل والمساواة (٣) .

٧ . وراثة الصالحين للأرض ، وتمكين المؤمنين فيها .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٤) .

حكى الطبري في تفسير هذه الآية ، عن سعيد بن جبير ومجاهد أن معناه : ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه ، قبل خلق السموات والأرض ، وقوله تعالى : (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) أنها أرض الأمم الكافرة ، يورثها الله أمة محمد ﷺ ، ويدخلهم الجنة ، وهم الصالحون منها ، وهو قول ابن عباس (٥) .

أما عن التمكين في الأرض فيقول سبحانه : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٦) .

أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : (الذين إن مكناهم في الأرض) ، قال : هذا شرط الله على هذه الأمة (٧) .

فتمكين الأمة في الأرض ، وفي واقعها المعاش ، يتم إذا أخذت بأسباب القوة ، وراعت شروط النصر التي نصت عليها الآية آنفاً ، وهي : إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

١ . هو محمد رشيد رضا ، أحد رجال الإصلاح الإسلامي ، وصاحب مجلة المنار ، ومن الكتاب والعلماء بالأدب والتاريخ والتفسير ، ولد في طرابلس سنة ١٨٨٦م ، ثم رحل إلى البلدان واستقر به الحال في مصر ، ولازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له ، وتوفي بمصر عام ١٩٣٥م ، من أشهر آثاره : تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار ، الوحي المحمدي ، نداء للجنس اللطيف ، يسر الإسلام وأصول التشريع العام . انظر الأعلام ٦ / ١٢٦ ، ومعجم المؤلفين المعاصرين ، ٢ / ٥٩٢ .

٢ . سورة البقرة ، آية ٢٩ .

٣ . تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ٨ / ٤٠٦ .

٤ . سورة الأنبياء ، آية ١٠٥ .

٥ . انظر تفسير الطبري ، ١٧ / ١٠٤– ١٠٥ .

٦ . سورة الحج ، آية ٤١ .

٧ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي ، ١٠ / ٥١٨ .

٨ . علاقة الغلاف المائي بالأرض .

يلعب الماء دوراً بالغ الأهمية في ديمومة الحياة واستمرارها على سطح الأرض ، وفي حفظ التوازن البيئي لكي تبقى الكائنات الحية في تتابع أجيالها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾ (١) .

وتتعدد صور الماء في باطن الأرض وظاهرها ، على النحو الآتي :

البحار كقوله تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (٢) .

الأودية والأنهار ، وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**﴾ (٣) ، وقوله سبحانه: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً**﴾ (٤) .

العيون ، مثل قوله تعالى : ﴿**وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً**﴾ (٦) .

الينابيع ، كقوله تعالى : ﴿**وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً**﴾ (٧) ، وقوله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ**﴾ (٨) .

. السماء ومكونات الغلاف الجوي .

السماء ذات علاقة وثيقة بحياة الناس في الأرض ، وبسهولة هذه الحياة ، وهي بحرارتها وضوئها ، وجاذبية أجرامها وتناسقها وسائر النسب بين الأرض وبينها ، تمهد لقيام الحياة على الأرض ، وتعين عليها (٩) .

وحديث القرآن عن السماء يتضمن الأمور الآتية :

أ . السماء فيها متانة البناء وتنسيق البناء .

١ . متانة البناء وإحكامه .

قال ﷻ : ﴿**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا**﴾ (١٠) .

فقوله (بناها) فسره بقوله (رفع سمكها فسواها) ، أي : جعلها عالية البناء ، بعيدة الفناء ، مستوية الأرجاء مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء [١١] .

والبناء يوحي بالقوة والتماسك ، والسماء كذلك متماسكة لا تختل ولا تتناثر نجومها وكواكبها ، ولا تخرج من أفلاكها ومداراتها ، ولا تتهاوى ولا تنهار فهي بناء ثابت وطيد متماسك الأجزاء [١٢] .

---

١ . سورة الأنبياء ، آية ٣٠ .
٢ . سورة النحل ، آية ١٤ .
٣ . سورة الرعد ، آية ١٧ .
٤ . سورة الرعد ، آية ٣ .
٥ . سورة القمر ، آية ١٢ .
٦ . سورة البقرة ، آية ٦٠ .
٧ . سورة الإسراء ، آية ٩٠ .
٨ . سورة الزمر ، آية ٢١ .
٩ . في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ١ / ٤٧ .
١٠ . سورة النازعات ، الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .
١١ . تفسير ابن كثير ، ٦ / ٣٨٤ .
١٢ . في ظلال القرآن ، ٦ / ٣٨١٦ .

٢ . تنسيق البناء وجماله .

يقول المولى عز وجل في هذا المعنى : ﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ**﴾ [١] .

الاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ ، أي كيف غفلوا عن النظر إلى السماء فوقهم (كيف بنيناها) وجعلناها على هذه الصفة ، (وزيناها) بما جعلنا فيها من الشمس نهاراً ، والنجوم والقمر ليلاً ، (وما لها من فروج) أي فتوق وشقوق، بحيث يشاهدونها كأنها كرة متصلة الأجزاء ليس بين أجزائها تفاوت ولا تباعد ، ونظير هذه الآية قوله تعالى :﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ**﴾ [٢] .

وقال جل شأنه : ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾ [٣] .

في هذه الآية يخبر الله تعالى عن كمال قدرته ، وعظيم سلطانه أنه بقدرته رفع السموات ، أي خلقهن مرتفعات على الأرض ارتفاعاً لا ينال ولا يدرك مداه ، وفي قوله (بغير عمد ترونها) رجح ابن كثير ، أنها لا عمد لها ، وقال : وهذا هو اللائق بالسياق والظاهر من قوله تعالى : ﴿**وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ [٤] .

ب . إنزال الماء من السماء ، ليجري في الأرض ، رزقاً للناس ومدراراً .

يقول البارئ – عز وجل – : ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ**﴾ [٥] .

(هو الذي يريكم آياته) أي من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها ،(وينزل لكم من السماء رزقاً) أي مطراً وإفراده بالذكر من بين الآيات لعظم نفعه ، وتسبب حياة كل شيء عنه [٦] .

ويقول الرازي معلقاً على الآية : واعلم أن أهم المهمات رعاية مصالح الأديان ومصالح الأبدان ، فهو سبحانه وتعالى راعى مصالح أديان العباد بإظهار البينات والآيات ، وراعى مصالح أبدانهم بإنزال الرزق من السماء ، فموقع الآيات من الأديان كموقع الأرزاق من الأبدان ، فالآيات لحياة الأديان ، والأرزاق لحياة الأبدان ، وعند حصولهما يحصل الإنعام على أقوى الاعتبارات وأكمل الجهات [٧] .

وقال تعالى : ﴿**وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ**﴾ [٨] .

والسماء هنا : المطر ، وإرسال السماء عبارة عن إنزال المطر ، وفي الحديث عن زيد بن خالد الجهني [٩] أنه قال : (صلى رسول الله – ﷺ – صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل) [١٠] ، والمدرار الغزير ،

---

١ . سورة ق ، آية ٦ .

٢ . انظر فتح القدير ، الشوكاني ٥ / ٩٥ ، والتحرير والتنوير ، ابن عاشور ١٢ / ٢٨٦ ، والآية ٣ من سورة الملك .

٣ . سورة الرعد ، آية ٢ . ٤ . انظر محاسن التأويل ، القاسمي ٦ / ٢٥٥ ، والآية رقم ٦٥ من سورة الحج .

٥ . سورة غافر ، آية ١٣ . ٦ . محاسن التأويل ، القاسمي ، ٨ / ٣٠٤ .

٧ . مفاتيح الغيب ، الرازي ١٤ / ٣٨ . ٨ . سورة الأنعام ، آية ٦ .

٩ . زيد بن خالد الجهني المدني : صحابي شهد الحديبية ، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح ، له ٨١ حديثا ، توفي بالمدينة سنة ٧٨ هـ . انظر الطبقات الكبرى ٤ / ٢٥٦ ، أسد الغابة ٢ / ٣٥٥٥ ، الوافي بالوفيات ١٥ / ٢٦ ، الأعلام ٣ / ٥٨ .

١٠ . أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الاستسقاء ، ص ١٥٤ ، وهو متفق عليه ، انظر اللؤلؤ والمرجان ، كتاب الإيمان ، رقم ٤٦ ، ص٢٢ .

(وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) أي : وسخرنا لهم الأنهار – وهي مجاري المياه الفائضة – وهديناهم إلى الاستمتاع بها بجعلها تجري دائما من تحت مساكنهم التي يبنونها على ضفافها ، أو في الجنات والحدائق التي تتفجر خلالها ، فيتمتعون بالنظر إلى جمالها ، وبسائر ضروب الانتفاع من أمواهها [١] .

أما عن دور الرياح في إنزال الماء فيقول الله جلت قدرته : ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ [٢] .

ولواقح الرياح تتم بثلاثة طرق [٣] :

١ . تلقيح السحب الحارة بالسحب الباردة مما يزيد عملية التكاثف وبالتالي نزول المطر ، مثل ظاهرة ندى الصباح .

٢ . تلقيح السحب موجبة الشحنة بالسحب سالبة الشحنة ، ويحدث تفريغ وشرر كهربائي ينتج عنه ما يسمى بظاهرتي البرق والرعد .

٣ . تلقيح السحب بنويات التكاثف ، وهي النويات التي يتجمع عليها جزيئات بخار الماء لتكون نقطاً من الماء نامية داخل السحب ، وقوام هذه النويات هو أملاح البحار وما تذروه الرياح من سطح الأرض من أكاسيد وأتربة .

ج . السماء تحمي الأرض من الأضرار .

قال تعالى : ﴿**وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً**﴾ [٤] .

فيه دلالة عن أن السماء كالسقف المرفوع المزين بمصابيح معلقة به ، ما يدعو إلى الاستدلال بها على قدرة صانعها وحكمته ، (وحفظاً) أي من الشياطين أن تسترق أخبارها ، كما في قوله تعالى : ﴿**وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ**﴾ [٥] .

وجاء في قوله تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً**﴾ [٦] ، أي : على الأرض ، وهي كالقبة عليها ، ثم قال : (**مَحْفُوظاً**) أي : عاليا محروسا أن ينال ، وقال مجاهد : مرفوعا [٧] .

فهذا من بديع صنع الله وإتقانه، ولطفه بعباده بأن جعل السماء الدنيا وقاية وحرزاً للأرض المحيطة بها في عالمنا الفسيح .

ويكشف لنا العلم الحديث طرفاً من هذا الإعجاز ، مبيناً أن طبقة الأيونوسفير أو طبقة التأين تعمل على عكس وتأين الأشعة الكونية الضارة بعيداً عن مجال الأرض ، كما أن طبقة الأوزون تحفظ سطح الأرض من الأشعة الفوق بنفسجية المنبعثة من الشمس ، والتي تضر بصحة الإنسان وحياته .

---

١ . التحرير والتنوير ١٤ / ١٩٨ ، وتفسير المنار ، رشيد رضا ٧ / ٢٥٤ ، بتصرف يسير .

٢ . سورة الحجر ، آية ٢٢ .

٣ . انظر موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net نقلاً عن الإعجاز العلمي في القرآن ، د/ زغلول النجار ،

٤ . سورة فصلت ، آية ١٢ .

٥ . انظر محاسن التأويل، القاسمي ، ٨ / ٣٢٨ ، والآية ٧ من سورة الصافات .

٦ . سورة الأنبياء ، آية ٣٢ . ٧ . انظر تفسير ابن كثير ، ٤ / ٣٦٣ .

د . الحث على النظر والتأمل في خلق السماء .

قال ﷻ : ﴿**أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ**﴾ (١) .

يقول صاحب الظلال في لفت الأنظار إلى السماء : وتوجيه القلب إلى السماء يتكرر في القرآن ، وأولى الناس بأن يتوجهوا إلى السماء هم سكان الصحراء حيث للسماء طعم ومذاق ، وإيقاع وإيحاء ، كأنما ليست السماء إلا هناك في الصحراء !

السماء بنهارها الواضح الباهر الجاهر . والسماء بأصيلها الفاتن الرائق الساحر . والسماء بغروبها البديع الفريد الموحي . والسماء بشروقها الجميل الحي السافر . هذه السماء في الصحراء ... أفلا ينظرون إليها كيف رفعت ؟ من ذا رفعها بلا عمد ؟ ونثر فيها النجوم بلا عدد ؟ وجعل فيها هذه البهجة وهذا الجمال وهذا الإيحاء ؟ إنهم لم يرفعوها وهي لم ترفع نفسها . فلابد لها من مبدع . ولا يحتاج الأمر إلى علم ولا إلى كد ذهن .فالنظرة الواعية وحدها تكفي ... (٢)

ومن علامات التأمل والتدبر في ملكوت السماء وأفقها الرحيب هذه الطير المعلقة في جوها ، قال تعالى : ﴿**أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (٣) .

في هذه الآية نبه تعالى عباده للنظر إلى الطير المسخر بين السماء والأرض ، كيف جعله يطير بجناحيه بين السماء والأرض ، في جو السماء ما يمسكه هناك إلا الله بقدرته تعالى ، الذي جعل فيها قوى تفعل ذلك ، وسخر الهواء يحملها ويسر الطير لذلك كما قال تعالى : ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾ (٤) .

ويقول ﷻ : ﴿ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ (٥) .

في هذا تنبيه الناس إلى التفكر المصحوب بالتذكر في عجائب السموات والأرض ، وأسرار ما فيهما من الإتقان والإبداع والمنافع الدالة على العلم المحيط والحكمة البالغة ، والنعم السابغة ، والقدرة التامة دون الغفلة عن ذكر الخالق العليم الحكيم الذي خلق ذلك في أبدع نظام ، وأتم إحكام .

(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) أي : ربنا ما خلقت هذا الذي نراه من العوالم السماوية والأرضية باطلاً ، ولا أبدعته وأتقنته عبثاً ، سبحانك وتنزيهاً لك عن الباطل والعبث بل خلقك حق مؤيد بالحكم ، فهو لا يبطل ولا يزول ، وإن عرض له التحول والتحليل والأفول [٦] .

قال القرطبي في تفسير الآية : هو الحث على عبادة الله بالتفكر في قدرته وعجائبه في خلقه ، وأخذ العبر ؛ ليكون ذلك أزيد في إنارة البصائر :

وفي كل شيء له آيةٌ * تدل على أنه الواحدُ

فيا عجباً كيف يعصى الإلهُ * أم كيف يجحده الجاحدُ [٧] .

---

١ . سورة الغاشية ، الآيتان ١٧ ، ١٨ .
٢ . في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٦ / ٣٨٩٨ .
٣ . سورة النحل ، آية ٧٩ .
٤ . تفسير ابن كثير ٤ / ٦٠ ، والآية رقم ١٩ من سورة الملك .
٥ . سورة آل عمران ، آية ١٩١ .
٦ . انظر تفسير المنار ، رشيد رضا ، ٤ / ٢٤٣ وما بعدها .
٧ . الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٢ / ٦٥٠ ، والبيتان من ديوان أبي العتاهية ، ص ١٢٢ .

هـ . علاقة الغلاف الهوائي بالسماء .

الغلاف الهوائي يرتبط أساساً بالرياح ، وهي الهواء المتحرك على سطح الأرض ، وفي جو السماء ، وتنقسم في آيات القرآن إلى قسمين [١] :

القسم الأول . ريح العذاب ، ومن أسمائها ما يلي :

العاصف ، قال ﷻ : ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**﴾ [٢] .

الصرصر ، قال تعالى : ﴿**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ** ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿**كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ** ﴾[٤] .

العقيم ، قال سبحانه : ﴿**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ**﴾ [٥] .

السموم ، قال عز وجل : ﴿**فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ** ﴾ [٦]، وقال تعالى :﴿ **فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ** ﴾[٧] .

الحاصب ، وفي ذلك قوله : ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ** ﴾ [٨] ، وقوله سبحانه : ﴿**أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ**﴾ [٩] .

القاصف ، كقوله تعالى : ﴿**أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ** ﴾ [١٠] .

الإعصار ، كقوله تعالى : ﴿**فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ** ﴾ [١١] .

القسم الثاني . رياح الرحمة ، وهي : الناشرات ، والمبشرات ، والمرسلات ، والذاريات ، وهي تتضمن وظائف الرياح المتعددة المنافع .

١ . إنشاء السحاب وتفريقه ، قال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ**﴾ (١٢) ، وقوله تعالى : ﴿**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**﴾ (١٣) .

٢ . تلقيح السحاب والنبات ، قال تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (١٤) .

---

١ . صحة البيئة في القرآن ، رسالة دكتوراه ، منى علي محمد عبد الله ، ص ٦٢ وما بعدها ، بتصرف .
٢ . سورة يونس ، آية ٢٢ .
٣ . سورة الحاقة ، آية ٦ .
٤ . سورة آل عمران ، آية ١١٧ .
٥ . سورة الذاريات ، آية ٤١ .
٦ . سورة الطور ، آية ٢٧ .
٧. سورة الواقعة ، آية ٤٢ .
٨ . سورة القمر ، آية ٣٤ .
٩ . سورة الملك ، آية ١٧ .
١٠ . سورة الإسراء ، آية ٦٩ .
١١ . سورة البقرة ، آية ٢٦٦ .
١٢ . سورة الرعد ، آية ١٢ .
١٣ . سورة فاطر ، آية ٩ .
١٤ . سورة الأعراف ، آية ٥٧ .

٣ . تسيير الفلك ، قال تعالى : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (١) .

٤ . التنفس ، قال تعالى : ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾ (٢) .

فكلما صعد الإنسان إلى طبقات الجو العليا ، تتناقص كمية الأكسجين المنتشر في الجو بفعل الرياح ، والعكس صحيح في الطبقات السفلى ، مما يؤكد أهمية الرياح في عملية التنفس ، وإيجاد مناخ صحي ونقي .

١ . سورة الروم ، آية ٤٦ .
٢ . سورة الأنعام ، آية ١٢٥ .

ثانياً . العنصر البشري .

يتمحور هذا العنصر – الواقع البشري – حول دراسة الإنسان من حيث هو : طبيعته ، مهمته ، طموحاته ، اهتماماته، ... الخ ، ونؤجل نشاطاته التي يقيمها في عالم الحس والواقع مع الكون والحياة من حوله ، أثناء طرقنا للعنصر الاجتماعي .

كما لا يمكن حصر كل متعلقات هذا العنصر المبثوثة في كتاب الله ، وإنما نسلط الضوء على القضايا الجوهرية ، والمعطيات الواقعية التي تتراءى في هذا الجانب .

والحق أن القرآن كله إما حديث إلى الإنسان ، أو حديث عن الإنسان ، حقاً إن الإنسان شيء ضئيل بالنسبة لسعة الكون من حيث حجمه وحياة جسمه ، ولكنه من حيث روحه وكيانه المعنوي شيء كبير ، وهل الإنسان في الحقيقة إلا ذلك الروح وذلك الكيان المعنوي (١) .

لذلك فإن قضايا الواقع البشري في القرآن تتلخص في الآتي :

أ . خلق الإنسان (٢)

١ . أول تعريف بالرب وصلنا في سورة العلق أنه هو الخالق ، قال تعالى : ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾ (٣) .

٢ . خلق الإنسان من عناصر الأرض – الطين –

قال تعالى : ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ**﴾ (٤) ، وقال سبحانه : ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ**﴾ (٥) ، ثم يتدرج من أصغر الوحدات البيولوجية إلى أن يصير إنساناً متكاملاً ، قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ**

﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٦) .

٣ . سنة خلق الأشياء كلها من زوجين .

قال ﷻ ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ (٧) ، وقال تعالى : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٨) .

لقد خلق الله هذا الإنسان متوافقاً في فطرته وتكوينه مع هذا الكون ، ومع سائر الأحياء فكلهم من خلق الله ، وكلهم يتلقى من الله ، وكلهم يتمتع بهداه . قال تعالى : ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٩) ، وقال : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ (١٠) .

---

١ . قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام ، القرضاوي ، ص ٧ .

٢ . هكذا يحدثنا القرآن ، محمد ناصر القطبي ، ص ٢٧٨ وما بعدها ، مع التصرف .

٣ . سورة العلق ، الآيات ١ – ٢ .

٤ . سورة السجدة ، آية ٧ .

٥ . سورة ص ، آية ٧١ .

٦ . سورة المؤمنون ، الآيات ١٢– ١٤ .

٧ . سورة القيامة ، آية ٣٩ .

٨ . سورة الذاريات ، آية ٤٩ .

٩ . سورة طه ، آية ٥٠ .

١٠ . خصائص التصور الإسلامي ، سيد قطب ص ١٤٣ ، والآية رقم ٣٨ من سورة الأنعام .

٤ . الإنسان خلف من سبقه من سلالات بشرية على وجه الأرض .

قال جل شأنه : ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ (١) .

ب . طبيعته وأحواله .

١ . تكوينه الطبيعي مزدوج ومتوازن.

(فالإنسان في نظر الإسلام ، لا هو بالحيوان ، ولا هو بالملاك ، وهو يشمل على الطبيعة المزدوجه – حيوان وملاك – ولكنه يتصرف بطريقة الإنسان .

مخلوق ليس شراً خالصا ، ولا خيراً خالصا ، وإنما فيه الاستعداد لهذا وذاك : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (٢) .

مخلوق هو قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، وهذه القبضة من طين الأرض تخضعه لضروراتها . ضرورات الطعام والشراب والجنس .. الضرورات الاقتصادية والاجتماعية والبيولوجية والنفسية ، ولكن النفخة من روح الله ترفعه من الخضوع الكامل لهذا الضرورات ، والسلبية المزرية إزاءها) (٣) .

قال تعالى : ا﴿لَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ (٤) .

(والتصوير الواقعي لكل ما يحدث في حياة البشر من تطورات اجتماعية واقتصادية وسياسية تصوير لا يغفل مكان الفرد في حياة البشرية ولا يغفل واقع الجماعة . ولا يغفل عن نقط الضعف ونقط القوة في حياة الإنسان ، ولكنه يصورها من

منبعها الحقيقي ، من داخل النفس الإنسانية المتفاعلة مع الكون والحياة ، لا مما يسمى " الواقع المادي " الذي يفرض نفسه على الإنسان والحياة .

وهذا هو التكريم الحقيقي للإنسان ، حتى وهو في لحظات ضعفه وعجزه وهبوطه وانجرافه مع التيار ؛ لأنه يصور الواقع من خلال وجوده الإنساني ، ويظلل هذا الواقع بما يعتمل في نفسه من ألوان المشاعر والأفكار) [٥] .

٢ . حمله الأمانة .

يقول ﷻ : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [٦] .

قال القرطبي : والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال ، وهو قول الجمهور [٧] .

٣ . العجل في مواقفه وتصرفاته .

قال تعالى : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ [٨] ، وقال ﷻ : ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [٩] .

---

١ . سورة الأنعام ، آية ١٣٣ .
٢ . سورة الشمس ، الآيات ٧ – ١٠ .
٣ . منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ص ٥٣ .
٤ . سورة السجدة ، الآيات ٧ – ٩ .
٥ . منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ص ٦ ٢ .
٦ . سورة الأحزاب ، آية ٧٢ .
٧ . الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٧ / ٥٤١ .
٨ . سورة الإسراء ، آية ١١ .
٩ . سورة الأنبياء ، آية ٣٧ .

٤ . حبه للمال .

وفي هذا المعنى يقول الله جل شأنه : ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً ﴾ [١] .

٥ . الإنسان مميز مختار .

وذلك بأن جعله الله قادراً على التمييز بين الخير والشر ، فألهم النفس الإنسانية فجورها وتقواها ، وغرس في جبلتها الاستعداد للخير والشر ، وجعل عند الإنسان إرادة يستطيع بها أن يختار بين الطرق المؤدية للخير والسعادة أو الطرق الموصلة إلى الشقاء ، قال تعالى : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [٢] ، وبين له أن هدفه في الحياة أن يرتفع بنفسه عن سبل الشر وأن يزكي نفسه ، أي ينميها ويطهرها ويسمو بها في ذات الوقت نحو الفضيلة والاتصال بالله [٣] .

٦ . ضجره في حال الشدة ، ونسيانه الشكر حال الرخاء .

وبيانه في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [٤] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾ [٥] .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي [٦] – رحمه الله – في تفسير الآية : وهذا الوصف للإنسان من حيث هو وصف طبيعته أنه هلوع ، وفسر الهلع بقوله : (إذا مسه الشر جزوعاً) فيجزع إن أصابه فقر أو مرض أو ذهاب محبوب له من مال أو أهل أو ولد ولا يستعمل في ذلك الصبر والرضا بما قضى الله ، (وإذا مسه الخير منوعاً) فلا ينفق مما آتاه الله ولا يشكر الله على نعمه وبره فيجزع في الضراء والسراء [٧] .

٧ . مسؤوليته تجاه نفسه .

من ذلك قوله تعالى في مراقبة النفس : ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (٨) ، وقوله تعالى : ﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (٩) في مسؤوليته الانفرادية في تحمل ما تجنيه يداه من الآثام والأوزار .

٨ . الشيطان عدوه الأول .

قال جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٠) .

عداوة الشيطان للإنسان قديمة بدأت مع بداية خلق الله تعالى للإنسان واستخلافه في الأرض ، ولن تنتهي حتى تنتهي الدنيا ، ويرث الله الأرض ومن عليها ، والمهمة الأساسية من حديث القرآن الكريم عن الشيطان بيان عداوته وتوضيح خطره ، والتحذير من مكايده (١١) .

---

١ . سورة الفجر ، آية ٢٠ . ٢ . سورة البلد ، آية ١٠ .

٣ . أصول التربية الإسلامية ، عبدالرحمن النحلاوي ص ٣٤ . ٤ . سورة الزمر ، آية ٨ .

٥ . سورة المعارج ، الآيات ١٩ – ٢١ .

٦ . هو عبدالرحمن بن ناصر السعدي التميمي (١٨١٠ – ١٩٥٦ م) ، مفسر من علماء الحنابلة من أهل نجد ، مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم ، ومن آثاره العلمية : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الفتاوي السعدية، القواعد والأصول الجامعة في أصول الفقه ، شرح زاد المستقنع ، نور البصائر والألباب في أحكام العبادات والمعاملات والحقوق والواجبات . انظر الأعلام ٣ / ٣٤٠ ، ومعجم المؤلفين المعاصرين ، ١ / ٣٣٤ .

٧ . تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ص ٩٨٣ . ٨ . سورة القيامة ، آية ١٤ .

٩ . سورة الأنعام ، آية ١٦٤ . ١٠ . سورة يوسف ، آية ٥ .

١١ . انظر منهج القرآن في إصلاح المجتمع ، محمد السيد يوسف ص ٦١ .

٩ . طغيانه وكثرة جداله .

قال تعالى موضحاً كثرة الجدال عند الإنسان : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ (١) ، وعن صفة الطغيان عند الإنسان يقول تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ (٢) .

فالإنسان– لجهله وظلمه– إذا رأى نفسه غنياً طغى وتجبر عن الهدى ونسي أن لربه الرجعى ولم يخف الجزاء (٣) .

١٠ . من طبيعته التقتير في الإنفاق .

قال وَجَلَّ : ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً﴾ (٤) .

قال القرطبي في الآية : المعنى لو ملك أحد المخلوقين خزائن الله لما جاد بها كجود الله تعالى ؛ لأمرين أحدهما : أنه لابد أن يمسك منها لنفسه وما يعود بمنفعته ، الثاني : أنه يخاف الفقر ويخشى العدم ، (وكان الإنسان قتوراً) أي بخيلا مضيقا ، ثم قال : واختلف في هذه الآية على قولين : أحدهما : أنها نزلت في المشركين خاصة ، والثاني : أنها عامة ، وهو قول الجمهور (٥) .

١١ . فراره من الموت ، وحبه الخلود في الدنيا .

قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ (٦) .

أي إن فررتم منه فإنه ملاقيكم ، ويكون مبالغة في الدلالة على أنه لا ينفع الفرار منه ، قال زهير (٧) :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ** ولو رام أسباب السماء بسلم (٨) .

ومن طبيعته حب الخلود ، وإن لم يكن بنفسه فبذريته من بعده ، وحب الاستعلاء والسيطرة على الآخرين ، وهاتان الغريزتان كانتا الأحبولة التي أوقع إبليس بها آدم أبا البشر في شرك المخالفة بالأكل من الشجرة : ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى** ﴾ (٩) .

ويقول المولى عز وجل : ﴿**يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ** ﴾ (١٠) . أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار (١١) .

وبمعنى آخر : أن الذين جمعوا المال يشبه حالهم حال من يحسب أن المال يقيهم الموت ويجعلهم خالدين ؛ لأن الخلود في الدنيا أقصى متمناهم (١٢) .

وقال الرسول ﷺ : (يشيب ابن آدم ، وتشب معه خصلتان : الحرص وطول الأمل) (١٣) .

---

١ . سورة الكهف ، آية ٥٤ . ٢ . سورة العلق ، الآيات ٦ – ٨ .

٣ . تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ص ١٠٢٩ . ٤ . سورة الإسراء ، آية ١٠٠ .

٥ . انظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٥ / ٦٦١ ٦ . سورة الجمعة ، آية ٨ .

٧. هو زهير بن أبي سلمى المزني من مضر (ت ١٣ ق . هـ) : حكيم الشعراء في الجاهلية ، قيل : كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة ، فكانت قصائده تسمى الحوليات ، وأشهر شعره معلقته التي مطلعها " أمن أم أوفى دمنة لم تكلم " . انظر الأعلام ٣ / ٥٢ .

٨ . الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٩ / ٣٤١ ، والبيت من معلقة زهير بن أبي سلمى ، ديوان زهير ص ٧٦ .

٩ . دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، القرضاوي ص ٣٥١ ، والآية رقم ١٢٠ من سورة طه .

١٠ . سورة الهمزة ، آية ٣ . ١١ . تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ٦ / ٥٣٥ . ١٢ . التحرير والتنوير ، ابن عاشور ١٥ / ٥٣٩ .

١٣ . أخرجه البخاري ، عن أبي هريرة وأنس بن مالك ، كتاب الرقائق ، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر ، برقم ٦٤٢٠ ، ٦٤٢١ ، ١١ / ٢٧٠ ، وبلفظ : (لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل) ، وبلفظ : (يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان حب المال وطول العمر) .

ج . مكانته وغايته .

١ . تكريم الله إياه .

لقد سما الإسلام بالإنسان فاعترف به كله ، روحه وجسده ، عقله وقلبه ، إرادته ووجدانه ، غرائزه الهابطة وأشواقه الصاعدة ، لم يضع في عنقه غلاً ، ولا في رجله قيداً ، ولم يحرم عليه طيبا ، ولم يغلق في وجهه باب خير ، ولم يدعه للمتاجرين بالدين يتلاعبون به ، بل خاطبه خطاباً مباشراً : ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ (١) ، ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ** ﴾ (٢) .

وفي هذا الصدد يقول ابن القيم : اعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشرفه ، وخلقه لنفسه ، وخلق كل شيء له ، وخصه من معرفته ومحبته ، وقربه وإكرامه بما لم يعطه غيره ، وسخر له ما في سمواته وأرضه وما بينهما ، حتى ملائكته – الذين هم أهل قربه – استخدمهم له ، وأنزل إليه وعليه كتبه ، وأرسله وأرسل إليه ، وخاطبه وكلمه منه إليه ، واتخذ منهم الجليل والكليم ، والأولياء والخواص والأحبار ، وجعلهم معدن أسراره ، ومحل حكمته وموضع حبه ، وخلق لهم الجنة والنار ، فالخلق والأمر والثواب والعقاب مداره على النوع الإنساني ، فإنه خلاصة الخلق وهو المقصود بالأمر والنهي ، وعليه الثواب والعقاب ... (٣) .

(ومما كرم الله به الإنسان وفضله أن وهبه نعمة العقل ، والقدرة على التعلم ﴿**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ (٤) ، ومنحه أدوات هذا التعلم وهي : اللسان ، والقدرة على البيان ، والقلم ، والقدرة على الكتابة ، كما جاء في

قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (٥) ، وقوله سبحانه : ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٧) ، وذلك لكي يستعملها في التفكير والتفكر في خلق السموات والأرض) (٨) .

إن ازدواج طبيعته وأن وقدرته على أن يغالب نوازع الشر ودوافع الإفساد ، وأن إرادته التي تجعله يختار طريقه ويوجه حياته هو سر تكريمه فضلاً عن تسويته على أكمل صورة وأحسن تقويم حسبما قال تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (٩) ، وكما قال جل شأنه : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (١٠) .

---

١ . سورة الانفطار ، الآيات ٦ – ٨ .
٢ . قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام ، القرضاوي ص ١١ ، والآية ٦ من سورة الانشقاق .
٣ . مدارج السالكين ، ابن القيم ١ / ١٩٦ .
٤ . سورة العلق ، الآيتان ٤ ، ٥ .
٥ . سورة الرحمن ، الآيات ١ – ٤ .
٦ . سورة البلد ، الآيتان ٨ ، ٩ .
٧ . سورة النحل ، آية ٧٨ .
٨ . انظر أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، النحلاوي ص ٣٥ .
٩ . سورة التين ، آية ٤ .
١٠ . الإسلام والإنسان المعاصر ، محمد ظفر الله خان ص ٢٢٧ ، والآية ٧٠ من سورة الإسراء .

٢ . مهمة الإنسان في الوجود ، ورسالته في الحياة .

رسالة الإنسان في الوجود تتركب من عنصرين أساسيين(١) :

عنصر معرفي علمي : وهو أن يعرف الإنسان ربه ، رب هذا الكون معرفه صحيحة بأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا، ولن يتم له ذلك إلا إذا عرف نفسه ، وعرف الكون من حوله ، ولهذا قالت الآية معللة : ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٤) .

عنصر عملي سلوكي : وهو أن يعمل فيحسن العمل ، بل يجتهد أن يكون (أحسن عملاً) كما قال سبحانه وتعالى : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (٥) .

فالفعل الخاص بالإنسان له ثلاثة محاور :

. عمارة الأرض المذكورة في قوله تعالى : ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٦) ، وذلك تحصيل ما به تزجيه المعاش لنفسه ولغيره .

. وعبادته سبحانه المذكورة في قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٧) ، وذلك هو الامتثال للبارئ جلت قدرته في أوامره ونواهيه .

. وخلافته المذكورة في قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (٨) ، وذلك هو الاقتداء بالمولى عز وجل على قدر طاقة البشر في المعاش ، وفي الحياة قبل الممات باستعمال مكارم الشريعة .

أما مهمة الإنسان المسلم فقد لخصها الله في آيتين من كتابه ، ورددها القرآن الكريم بعد ذلك في عدة آيات ، فالآيتان هما قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٩) .

وفي هذه المهمة ، وتلك الرسالة يقول الشهيد الحي : وهذا التجمع النفسي والحركي هو ميزة الإسلام الكبرى بما أنه يتناول كل الحقائق التي تواجه النفس البشرية في الكون كله ، ويتناول بالتوجيه كل جوانب النشاط الإنساني ، ففي الإسلام – وحده – يملك الإنسان أن يعيش لدنياه وهو يعيش لآخرته ، وأن يعمل لله وهو يعمل لمعاشه ، أن يحقق كماله الإنساني الذي يطلبه الدين ، في مزاولة نشاطه اليومي في خلافة الأرض ، وفي تدبير الرزق ، ولا يتطلب منه هذا إلا أمراً واحداً : أن يخلص العبودية لله في الشعائر التعبدية وفي الحركة العملية على السواء . أن يتوجه إلى تلك

---

١ . انظر قيمة الإنسان،القرضاوي ص ٢٤ . ٢ . سورة الطلاق ، آية ١٢ .
٣ . سورة البقرة ، آية ٢٥٥ . ٤ . سورة فصلت ، آية ٥٣ .
٥ . سورة تبارك ، آية ٢ . ٦ . سورة هود ، آية ٦١ .
٧. سورة الذاريات ، آية ٥٦ . ٨ . سورة الأعراف ، آية ١٢٩ .
٩ . انظر مجموعة الرسائل ، حسن البنا ص ٤٥ ، والآيتان ٧٧ ، ٧٨ من سورة الحج .

الجهة الواحدة بكل حركة وكل خالجة ، وكل عمل وكل نية ، وكل نشاط وكل اتجاه . مع التأكيد من أنه لا يتجاوز دائرة الحلال الواسعة التي تشمل كل طيبات الحياة .. ومن خلال عمل هذه الطاقات مجتمعة يحقق الإنسان غاية وجوده ، في راحة ويسر ، وفي طمأنينة وسلام ، وفي حرية كاملة منشؤها العبودية لله وحده (١) .

٣ . تسخير له ما في السموات وما في الأرض .

كل ما في الكون قد خلق للإنسان ، أما الإنسان نفسه فقد خلق لله جل جلاله لمعرفته وعبادته ، وأداء أمانته في الأرض ، وكفى بهذا شرفاً وفخراً ، فهو سيد في الكون ، عبد لخالقه وحده ، قال ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (٢) .

وقد عرض له في القرآن صحائف الكون في أرضه وسمائه ، مائه وهوائه ، جماده ونباته وحيوانه ، وحثه على النظر والتفكر فيما خلق ، وتعرف أسراره فيه ، فيتخذ منها ما يقوي إيمانه ، كما يتخذ منها وسائل رقيه في الحياة المادية التي برقيها عزته وسعادته ، وبذلك جمع له بين حظي الجسم والروح ، وجعل حياته الكاملة في استيفائه متعة المعرفة واليقين ، ومتعة المادة والعمل (٣) .

قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٤) .

١ . خصائص التصور الإسلامي ، سيد قطب ص ١١٣
٢ . انظر الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ص ٩ ، والآية ٢٠ من سورة لقمان .
٣ . الإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت ، ص ٤٧ .
٤ . سورة إبراهيم ، الآيات ٣٢ – ٣٤ .

ثالثاً . العنصر الاجتماعي .

يتكون الواقع الاجتماعي من أربعة ركائز أساسية وهي : الفرد ، والأسرة ، والمجتمع ، والدولة ، وهي الدعائم التي تقوم بها وعليها الدعوة .

وموضوع الواقع الاجتماعي هو الظواهر الاجتماعية التي تظهر نتيجة لتجمع الناس معاً ، وتفاعلهم مع بعضهم بعضاً، ودخولهم في علاقات متبادلة ، وتكوين ما يطلق عليه الثقافة المشتركة ، حيث يتفق الناس على أساليب معينة في التعبير عن أفكارهم ، كما أنهم يتفقون على قيم محددة ، وأساليب معينة في الاقتصاد ،والحكم ، والأخلاق ، وغيرها [١] .

ويمكن اختصار هذا المحتوى في الموضوعات الآتية :

. التحليل الاجتماعي ، ويتجلى في ظاهرتي المجتمع ، والثقافة .

أ . **المجتمع** : تركيب أو تأليف لمجموعة من الأفراد يتميز بنمط معين من العلاقات التي تربط هذه المجموعة من الأفراد تجعلهم كلاً واحداً متماسكاً متجهاً إلى غاية واحدة [٢] .

والمجتمع في الإسلام مجتمع معنوي ، أي إن العلاقات الاجتماعية فيه تبنى على الروابط الأدبية من تواد وتراحم لا على أساس من العلاقات المادية فقط ، ولذلك يقول الرسول ﷺ : (مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [٣] .

ب . **خصائص المجتمع المسلم** [٤] .

١ . مجتمع رباني : إن أبرز هذه الخصائص أنه مجتمع رباني يقوم على طاعة الله ، وتحقيق إرادته كما تمثلت في آخر رسالة وأصدق كتاب ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٥) .

٢ . مجتمع إنساني : فالمجتمع الإسلامي مجتمع الإنسان بكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى نبيل ، يحمى حقوقه ويحفظ عليه خصائصه السامية ، ويفسح جنباته لكل من يؤمن بالحق ويعمل للخير ، ولا يفرق بين لون أو جنس أو منزلة ، فالكل لآدم ، والكل خلفاء في الأرض ، ما داموا على سنن الهداية والرشاد .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (٦) .

٣ . مجتمع ملتزم : بمعنى أنه يقوم على تطبيق مبادئه ورعاية أهدافه على الالتزام الذي يؤدي فيه كل فرد واجبه عن طواعية ويقين ، ويرجع في المجتمع إلى مبادئ واضحة لا يقصر عن بلوغها أحد .

---

١ . انظر الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع ، منصور المطيري ص ٢٨ .

٢ . منهج القرآن في إصلاح المجتمع ، محمد السيد يوسف ، نقلا عن أسس علم الاجتماع ، محمد عبدالسميع عثمان ص ٢٠ .

٣ . المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، محمد أبو زهرة ص ١٢١ ، والحديث أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير ، كتاب الصلة رقم ٢٥٨٦ ، ٤ / ١٩٩٩٩ ، وأحمد في مسنده ، رقم ١٨٢٨٧ ، ١٤ / ١٥٤ ، وإسناده صحيح .

٤ . انظر المجتمع الإسلامي ، د / مصطفى عبد الواحد ، ص ٢٢٠ وما بعدها .

٥ . سورة الأنعام ، آية ١٦٢ . ٦ . سورة النساء ، آية ١ .

فالعقيدة التي تربط بين أفراده تقوم على الامتناع الحر الذي لا إكراه فيه ولا عنت : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (١) .

والمؤمنون جميعاً يتواصون بالحق والصبر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، أو بمعنى آخر يلتزمون بحماية مبادئ مجتمعهم ، ويعملون جميعاً على استقامة سيره وصوابه ، قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢) وقال : ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٣) .

٤ . مجتمع خُلُقي : فهو مجتمع يولي أهدافه الخلقية من العناية ما يوليه أهدافه المادية بل أشد ، فهو يحفظ على الناس أخلاقهم ومبادئهم كما يوفر لهم طعامهم وأرزاقهم ، لهذا نجد عجباً من موقف الخليفة الثاني– عمر بن الخطاب – ﷺ حين يسمع بفتىً جميل في المدينة تتغنى به العواتق في خدورهن لملاحته وصباه ، فنفاه عمر من المدينة ليحفظ على مجتمعه حياءه واستقامته ، وليس ذلك إلا مثلاً لوعي المجتمع الإسلامي لأهدافه ورعايته لرسالته ، فهو ليس مجتمع كَلأْ لا يعنيه إلا الطعام والشراب واللذة ، وإنما هو مجتمع الإنسان الصحيح التكوين ، المستقيم الفطرة ، وتلك هي رسالته التي ميزه الله بها وحمله أعباءها ، قال تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٤) .

جـ . **الثقافة** : هي العلوم والمعارف التي يطلب الحذق فيها (٥) .

ويمكن تعريفها بشكل أوسع بأنها : النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير والعمل وأنماط السلوك ، وكل ما يبنى عليه من تجديدات أو ابتكارات أو وسائل في حياة الناس ، مما

ينشأ في ظله كل عضو من أعضاء الجماعة ، ومما ينحدر إلينا من الماضي فنأخذ به كما هو ، أو نطوره في ضوء ظروف حياتنا وخبراتنا . وهو تعريف مفصل لتعريف تايلر المشهور للثقافة (٦) .

وبمعنى آخر أن الثقافة أسلوب الحياة لمجتمع ما ، ومن خصائصها أنها إنسانية متكاملة ومكتسبة (٧) .

والمسلم المثقف يتزود من ثقافته الأصيلة أولاً ، وهي تتمثل في القرآن والسنة وتاريخ الأمة ، ثم يضيف إليها أي ثقافة أخرى لا تتعارض مع دينه وقيمه ، أو تهز ثقته في قيمه ومبادئه وولائه لأمته ودينه (٨) .

. الوحدات الأولية للحياة الاجتماعية وتشمل .

أ . الأعمال الاجتماعية ، والعلاقات الاجتماعية .

١ . الأعمال والأفعال الاجتماعية .

العمل الاجتماعي : هو كل مجهود يخضع لنوع من التنظيم ، ويهدف إلى ضمان التقدم الاجتماعي ، وإلى الإسهام في حل المشكلات الاجتماعية التي تحيط بالناس ، وتؤثر في عدد كبير منهم (٩) .

والعمل الاجتماعي هو الوسيلة للرزق والتآزر بين الناس ، بل هو السبيل إلى الحياة ، إذن العمل هو ثمن الحياة .

---

١ . سورة البقرة ، آية ٢٥٦ . ٢ . سورة التوبة ، آية ٧١ . ٣ . سورة العصر ، الآيات ١ – ٣ .

٤ . سورة آل عمران ، آية ١١٠ . ٥ . المعجم الوسيط ، ١ / ١٠٢ .

٦ . انظر التربية الإسلامية وتحديات العصر ، د/ عبدالغني عبود ، د/ حسن إبراهيم عبدالعال ، ص ٢٠١ .

٧ . انظر المصدر السابق ، ص ٢١٣ . ٨ . انظر التربية السياسية ، علي عبد الحليم ، ص ٢٨١ .

٩ . التربية الاجتماعية الإسلامية ، د / علي عبد الحليم محمود ، ص ٤١

قال تعالى : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١) ، وهذا أمر رباني للنفير ، والضرب في الأرض ، وأن علامة الإيمان الصحيح في الإسلام هي العمل النافع ، والإنتاج المادي الذي يعود بالصالح على المجتمع (٢) .

وليس العمل الذي يقترن بالعقيدة هو العبادة فقط بل يتسع ليشمل أنشطة الإنسان في حياته ، والإنسان في المجتمع الإسلامي مطالب بأن يعمل بجد وإخلاص ، والعمل الإنساني هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكي يحقق أهدافه ، ولجلال شأنه وردت في القرآن ثلاثمائة وستون آية كلها تتحدث عن العمل (٣) .

قال ﷻ : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (٤) ، وقال جل شأنه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٥) .

في الآية السابقة يأمر الله تعالى المؤمنين بالأفعال الخيرية عموماً . وفي كثرة طرق الخير وتعدد الأفعال الاجتماعية الخيرية يقول الرسول – ﷺ – : (كل سلامي من الناس صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة) (٦) .

٢ . العلاقات الاجتماعية .

علاقة الإنسان بربه : بالإيمان به ، وعبادته ، واستمرار الدعوة إليه .

وتظهر هذه العلاقة واضحة جلية في سورة الفاتحة التي تقرأ في الصلوات المفروضة سبعة عشر مرة في اليوم عدا صلاة النافلة .

يقول القرطبي في اشتمال الفاتحة على مقاصد القرآن : سميت القرآن العظيم لتضمنها جميع علومه ، وذلك أنها تشتمل على الثناء لله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله ، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها ، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانته تعالى ، وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصرط المستقيم ، وكفاية أحوال الناكثين ، وعلى بيانه عاقبة الجاحدين (٧) .

علاقة الإنسان بنفسه(٨) :

بالمحافظة عليها وصيانتها وفق منهج الله ، قال تعالى : ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ (٩) .

وتزويدها بالعلم والمعرفة : ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ (١٠) .

وبمحاسبتها والرقابة عليها : بأن يعرف الصواب ويتيقن منه ، وأن يجعله هدفاً يسعى إلى تحقيقه ، وأن يعرف الخطأ ولديه اليقين التام بأنه خطأ ، ويعمل بكل جهده أن يتجنبه ، وأن يتجرد عند تقييمه لعمله من هوى النفس ؛ ليكون حكمه عادلاً بينه وبين نفسه ، وإذا أحس بأنه أخطأ فليسرع بالتوبة ، وعمل الحسنات لتمحى السيئات .

---

١ . سورة التوبة ، آية ١٠٥ . ٢ . انظر مقومات العمل في الإسلام ، عبدالسميع المصري ص ١٦ .
٣ . الإسلام والإنسان المعاصر ، د/ محمد ظفر الله خان ص ١٣١. ٤ . سورة الملك ، آية ١٥ .
٥ . سورة الحج ، آية ٧٧ . ٦ . أخرجه الشيخان عن أبي هريرة ، اللؤلؤ والمرجان ، رقم ٥٩٠ ، ص١٧٨ .
٧ . الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ١ / ١١٧ . ٨ . انظر منهج الحياة في القرآن والسنة ، إصلاح إسماعيل أمين ص ٦٧ .
٩ . سورة الإسراء ، آية ٣٣ . ١٠ . سورة طه ، آية ١١٤ .

علاقة الإنسان بالناس :

العلاقة بين الزوجين ، وهي تقوم على المودة والرحمة ، ومراعاة الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين لكي ينشأ الاستقرار العائلي ، ويستمر الأنس النفسي ، وصدق الله حين يقول : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(١) .

والعلاقة بين الأبناء و الآباء ، وهي تقوم على التنشئة والتعهد بالتربية الصالحة من قبل الآباء ، وعلى ما يقابلها من بر وطاعة ، والصحبة بالمعروف من قبل الأبناء ، قال تعالى : ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**﴾ (٢) .

والعلاقة مع الأقارب والجيران وعموم الناس ، وهي ما جاء التأكيد عليها في قوله تعالى : ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**﴾ (٣) .

ب . وحدات أخرى تتمثل في : شخصية الفرد ، أنواع المجتمعات – حضرية وريفية – .

١ . شخصية الفرد .

عندما يفكر الناس في الشخصية فإنهم يرونها عادة باعتبارها التأثير الذي يحدثه الفرد في الآخرين ، أما بعض علماء النفس فيعرفونها بأنها التنظيم الدينامي – الحركي – في الفرد لتلك الأجهزة الجسمية والنفسية التي تحدد طابعه في توافقه مع البيئة (٤) .

(والشخصية السوية هي التي يتم فيها التوفيق بين الجانب المادي والروحي منها ، مع مراعاة الواقع بما يتضمنه من قوانين وقيم وأخلاق وتعاليم دينية ، وبعبارة أخرى التوفيق بين حالات النفس الثلاث التي أوردها القرآن ، وهي : النفس الأمارة بالسوء ، والنفس اللوامة ، والنفس المطمئنة .

فالشخصية السوية تحققت في صورتها الحقيقية الكاملة في شخص الرسول – ﷺ – الذي توازنت فيه القوة الروحية الشفافة ، والحيوية الجسمية الفياضة ، فكان يعبد ربه حق عبادته في صفاء وخشوع كاملين ، كما كان يعيش حياته البشرية كغيره من البشر ، يشبع حاجاته البدنية في الحدود التي رسمها الشرع ، ولذلك فهو يمثل الشخصية الإنسانية النموذجية الكاملة التي توازنت فيها جميع القوى الإنسانية البدنية منها والروحية) (٥) .

أنماط الشخصية في القرآن الكريم :

أشار القرآن إلى أنماط ثلاثة للشخصية الإنسانية ، وهي : المؤمنون ، والكافرون ، والمنافقون ، في مطلع سورة البقرة ، فذكر المؤمنين في أربع آيات (٢ – ٥) ، وذكر الكافرين في آيتين (٦ – ٧) ، وذكر المنافقين في ١٣ آية (٨ – ٢٠) ، كما أفرد لكل منهم سورة سماها باسمهم ، وهي سور : المؤمنون ، والمنافقون ، والكافرون (٦) .

---

١ . انظر الإسلام وبناء المجتمع ، د/ أحمد العسال ص ٢٣٦ ، والآية رقم ٢١ من سورة الروم .

٢ . المصدر السابق ، ص ٢٣٦ ، والآية ٢٣ من سورة الإسراء .

٣ . سورة النساء ، آية ٣٦ .

٤ . انظر القرآن وعلم النفس ، د/ محمد عثمان نجاتي ، ص ٢٠٦ .

٥ . انظر المصدر السابق ، ص ٢١٨ ، نقلاً عن في النفس والمجتمع ، محمد قطب ، ص ٦٢ ، مكتبة وهبة ، ١٩٦٢ م .

٦ . انظر المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

٢ . أنواع المجتمعات .

(تعرض القرآن في سورة يوسف عليه السلام لتنوع المجتمعات ، فالسورة تعرضت لهذا التعدد في شقيها القصصي والتعقيبي ، ففي الشق القصصي عرضت للمجتمعين الشامي والمصري ، وفي الشق الثاني أشارت للمجتمع المكي .

والمجتمع المكي العربي ينقسم آنذاك إلى ثلاثة أقسام :

أهل القرى : ولهم ذوق حضاري من درجة معينة ، ويميلون إلى الاستقرار ، وأقرب احتمالاً لتقبل الدعوة ، ولذلك بُعث منهم وفيهم الرسل بنص القرآن ، قال تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**﴾ (١) .

الأعراب الموغلون في البداوة : وهؤلاء أبطأ الناس فهماً وأسرعهم تقلباً ، وقد لقى منهم الإسلام في فجره عنتاً شديداً، وقد ذم القرآن بعضهم ، فقال : ﴿**الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (٢) .

قوم لهم من الحضارة نصيب والبداوة نصيب : وهؤلاء لا يقبلون الدعوة سريعاً ، ولا يدفعونها طويلاً .

وقد كان طبيعاً ،وضماناً لنجاح الدعوة ، أن يكون الرسل من بين سكان القرى الذين لهم ذوق حضاري رفيع ، وهكذا كان محمد بن عبدالله – ﷺ –) (٣) .

. المؤسسات الاجتماعية :

ومن أهمها : الأسرة ، الاقتصاد ، السياسة ، القانون ، الدين ، التعليم ، الإعلام .

أ . **الأسرة** (٤)

الأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها ، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل ، وتتطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة ، وعلى هديه ونوره تتفتح للحياة وتتعامل معها (٥) .

وعلاقة الإنسان بأسرته رسمها القرآن في العلاقة بين الزوجين ، وعلاقة الأولاد بوالديهم ، وعلاقة الآباء بأولادهم .

ففي العلاقة الزوجية يقول المولى عز وجل : ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**﴾(٦) ، ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ (٧) .

وفي علاقة الأولاد بوالديهم ، قوله تعالى : ﴿**وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً**﴾ (٨) ، وقوله : ﴿**وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً**﴾ (٩) .

---

١ . سورة يوسف ، آية ١٠٩ . ٢ . سورة التوبة ، آية ٩٧ .

٣ . انظر الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ، د / حسن باجودة ، ص ٦٧ ، ٤٩٦ ، ولمعرفة الاختلاف الحاصل بين البدو والحضر من حيث : أحوالهم الضرورية والكمالية ، والشجاعة ، والعصبية . انظر مقدمة ابن خلدون ، ٢ / ٤٧٣ – ٤٨٤ .

٤ . الأسرة : الدرع الحصينة ، أهل الرجل وعشيرتة ، الجماعة يربطها أمر مشترك ، انظر المعجم الوسيط ، ١ / ١٧ .

٥ . في ظلال القرآن ، سيد قطب ١ / ٢٣٥ .

٦ . سورة البقرة ، آية ١٨٧ . ٧ . سورة البقرة ، آية ٢٢٨ .

٨ . سورة لقمان ، آية ١٥ . ٩ . سورة الأحقاف ، آية ١٥ .

(وفي علاقة الآباء بأولادهم ، قوله تعالى :﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً**﴾ (١) ، وقوله :﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**﴾ (٢) ، وقول الرسول ﷺ : (رحم الله والداً أعان ولده على بره) (٣) .

والأسرة في نظر القرآن هي الأسرة الموسعة الممتدة التي تشمل الإخوة والأخوات ، بل الأعمام والعمات ، والأخوال والخالات من أولي القربى و الأرحام ، وقد قال تعالى : ﴿**وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾ (٤) .

ب . **الاقتصاد** .

في اللغة الاعتدال والتوسط – بين الإفراط والتفريط – ، وفي الاصطلاح علم يبحث في أمور اقتصادية عديدة منها : الإنتاج ، الثروة ومواردها ، الاستهلاك ، التوزيع ، السوق وتقلبات الأثمان ، رأس المال ، المصارف والتجارة الدولية ، الركود والتضخم ... الخ (٥) .

أما الاقتصاد الإسلامي فهو الاقتصاد المنبثق من الكتاب والسنة ، والذي يرتبط فيه المسلم بالخالق ، ويراعي الأخلاق ، وينفتح على العصر ، ويعالج كل قضايا الاقتصاد المعاصر السالفة الذكر تحت مظلة الشريعة وضوابط الدين .

وفيه الإنسان المسلم يستهلك ويأكل من طيبات الحياة استجابة لأمر الله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً﴾ (٦) ، وهو يتمتع بها في توسط واعتدال طوعاً لأمر الله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٧) .

وهو يجتنب المحرمات الاقتصادية ابتغاء مرضاة الله ، ومحافظة على خلقه الإسلامي : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ (٨) .

وقال تعالى : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾ (٩) ، وقوله – ﷺ – : (لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه) (١٠) .

---

١ . سورة الإسراء ، آية ٣١ . ٢ . سورة الفرقان ، آية ٧٤ .

٣ . انظر كشف الخفاء ، العجلوني ، رقم ١٣٧٦ ، ١ / ٤٢٤ ، وقال : رواه أبو الشيخ في الثواب بسند ضعيف عن علي وابن عمر مرفوعا ، وفي مسند الفردوس للديلمي عن أبي هريرة ، وذكر أسانيد أخرى تدل على إلزام الوالدين من البر لولدهما ما يلزم الولد . قلت : يجوز الأخذ بالضعيف في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال بشرط ألا يكون شديد الضعف ، وألا يصادم نصا صريحا أو قاعدة ثابتة ، وأن يكون له أصل ، وطرق وشواهد أخرى تقويه .

٤ . كيف نتعامل مع القرآن ، القرضاوي ص ٤٢١ ، والآية ٧٥ من سورة الأنفال .

٥ . انظر التربية الاقتصادية الإسلامية ، علي عبدالحليم ، ص٢٦ . ٦ . سورة البقرة ، آية ١٦٨ .

٧ . انظر دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، القرضاوي ص ٢٩ ، والآية ٣١ من سورة الأعراف .

٨ . سورة النساء ، آية ٢٩ . ٩ . سورة البقرة ، آية ٢٧٥ .

١٠ . أخرجه أحمد في مسنده عن ابن مسعود ، رقم ٣٧٢٥ ، ٤ / ١٠ ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

جـ . السياسة .

(في اللغة : مصدر للفعل ساس ، ومعناه تولى قيادة الناس ورئاستهم ، وساس الأمور : دبرها وقام بإصلاحها .

وفي الاصطلاح : السياسة قيادة الناس ورئاستهم بإحداث نشاط اجتماعي فيهم ينظم حياتهم العامة ، ويضمن لهم الأمن والتوازن والوفاق ، بحيث تكفل لهم حقوقهم وحرياتهم ،ويلتزمون بالقيام بواجباتهم في ظل شرعية عادلة) (١) .

السياسة الإسلامية :

نقل ابن القيم تعريف السياسة الشرعية عن ابن عقيل فقال : السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح ، وأبعد عن الفساد ، وإن لم يضعه الرسول ﷺ ، ولا نزل به وحي ، ثم قال : والسياسة العادلة لا تكون مخالفة لما نطق به الشرع ، بل موافقة لما جاء به ، بل هي جزء من أجزائه ، ونحن نسميها سياسة تبعاً لمصطلحكم ، وإنما هي عدل الله ورسوله (٢) .

وقد عرفوا الإمامة أو الخلافة بأنها : نيابة عامة عن صاحب الشرع – وهو رسول الله – ﷺ في حراسة الدين ، وسياسة الدنيا به ، فالخلافة حراسة وسياسة (٣) .

والسياسة جزء من منهج الإسلام في تنظيم الحياة ، ولا يمكن تصور عمل من الأعمال التي جاء بها الإسلام دون أن يخضع لسياسة في تنفيذه والقيام به (٤) .

وقد كان النبي – ﷺ – سياسياً ، بجوار كونه مبلغاً ومعلماً ، فقد كان هو رئيس الدولة ، وإمام الأمة ، وكان خلفاؤه الراشدون المهديون من بعده سياسيين على نهجه وطريقته ، حيث ساسوا الأمة بالعدل والإحسان ، وقادوها بالعلم والإيمان (٥) .

ومن الأدلة على فن السياسة والقيادة في الإسلام ، قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (٦) .

فالخطاب في الآية الأولى إلى الحكام والولاة بأن يؤدوا الأمانات ، وأن يحكموا بين الناس بالعدل ، والخطاب في الآية الثانية إلى الرعية بأن يطيعوا الله عز وجل أولاً ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وأن يطيعوا رسوله ثانياً فيما أمر به ونهى عنه ، وأن يطيعوا الأمراء وأولي الأمر ثالثاً (٧) .

وفي ضوء الآيتين المذكورتين ألف شيخ الإسلام ابن تيمية (٨) – رحمه الله – كتابه المعروف " السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية " ، والكتاب كله مبني على الآيتين الكريمتين (٩) .

---

١ . التربية الإسلامية السياسية ، د / علي عبدالحليم ، ص ٢٠ . ٢ . انظر الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، ابن القيم ص ٢٧ .
٣ . من فقه الدولة في الإسلام ،القرضاوي ص ٩٩ ، نقلاً عن النظريات السياسية الإسلامية ، د/ ضياء الدين الريس ، ص ١٢٥ ، الطبعة السادسة .
٤ . التربية السياسية الإسلامية ، علي عبدالحليم ص ٢٠ . ٥ . من فقه الدولة في الإسلام ، القرضاوي ص ٩٩ .
٦ . سورة النساء ، الآيتان ٥٨ ، ٥٩ . ٧ . انظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٣ / ٢٢٩ .
٨ . هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الدمشقي الحنبلي : شيخ الإسلام ، ولد في حران سنة ٦٦١ هـ ، ونبغ واشتهر في دمشق ، وتنقل بين مصر والشام ، وسجن أكثر من مرة ، ومات معتقلا في قلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ . فخرجت دمشق كلها في جنازته . كان كثير البحث في فنون الحكمة ، داعية إصلاح في الدين . آية في التفسير والأصول ، فصيح اللسان ، قلمه ولسانه متقاربان ، ولقد ناظر العلماء ، وأفتى ودرس وهو دون العشرين ، ومن تصانيفه : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، الفتاوي ، الصارم المسلول على شاتم الرسول ، الجمع بين العقل والنقل ، رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، التوسل والوسيلة . انظر البدر الطالع ١ / ٤٦ ، شذرات الذهب ٦ / ٨٠ ، الأعلام ١ / ١٤٤ .
٩ . من فقه الدولة في الإسلام ، القرضاوي ص ١٥ .

د . **القانون** .

يعتبر القانون من أقوى وسائل الضبط الاجتماعي (١) ؛ لأنه ضرورة اجتماعية لازمة لحياة الجماعة ، وتدعيم استقرار النظم الاجتماعية في المجتمع (٢) .

القانون : هو مجموعة الأصول والأحكام التي تصدر عن الهيئة الحاكمة في المجتمع ، وهو أوامر توضع ليسير الناس بمقتضاها لتنظيم علاقاتهم المدنية ، وسائر شئون الاجتماع (٣) .

مصادر القانون في التشريع الإسلامي (٤) :

١ . القرآن الكريم فهو المصدر الأول ، ونزوله كان متدرجاً حسب الأحوال الاجتماعية والمعيشية ، لذا فإن أحكامه تعد قواعد قانونية علمية .

٢ . السنة ، فهي الشارحة والمكملة للمصدر الأول ، ولا يتم فقه القواعد القرآنية إلا بالرجوع إلى شروحها وتفسيراتها .

٣ . عرف الجماعة وأحكامها وعاداتها المنتقلة جيلاً بعد جيل بالشفاهة دون التدوين ، ويشترط فيها ألا تصادم نصاً شرعياً ، لذلك قيل : المعروف عرفاً كالمشرط شرطاً ، والعادة محكمة .

٤ . الهيئات التشريعية والاجتهادية ، التي تسن القوانين وهي لها دور هام في تطوير القواعد القانونية ، وتقوية النشاط التشريعي ، والتجديد في الدولة الحديثة .

٥ . القرارات القضائية ، وأحكام القضاة التي تنشأ نتيجة وجود أحوال اجتماعية متغيرة ، يكون العرف قاصراً على تكييفها .

٦ . الشروح العلمية : وهي ذلك الاجتهاد الذي يقوم به فقهاء القانون عند تعرضهم للقوانين القديمة وتفسيرهم لها ، وتأتي شروحهم وأبحاثهم القانونية العلمية هادياً للمحاكم في مداولاتها ، وإصدار أحكامها في مختلف القضايا غير العادية .

تمييز الشريعة عن القانون الوضعي :

تمتاز الشريعة الإسلامية عن القانون الوضعي بعدة خصائص ، منها [٥] :

١ . الشريعة من عند الله ، وهذا يستلزم خلوها من معاني الجور والنقص والهوى ، كما يؤدي إلى توقيرها واحترامها في نفوس المؤمنين بها ، قال تعالى : ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [٦] .

---

١ . الضبط الاجتماعي : هو مجموعة الإجراءات التي تتخذها الأسرة أو الجماعة أو الدولة لرقابة سلوك الأفراد ومتابعته ، والتأكد من أنهم يمارسون أعمالهم وفق النظم والقيم السائدة في المجتمع . انظر التربية الاجتماعية الإسلامية ، د / علي عبدالحليم ص ٣٨ .

٢ . الإسلام والضبط الاجتماعي ، د / سلوى علي سليم ، ص ٧٦ .

٣ . انظر المصدر السابق ، ص ٨٣ .

٤ . انظر المصدر السابق ، ص ٩١ .

٥ . انظر المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، د / عبدالكريم زيدان ، ص ٣٥ وما بعدها .

٦ . سورة المائدة ، آية ٤٩ .

٢ . الجزاء في الشريعة دنيوي وأخروي :

وذلك نظراً لشمول القانون الإسلامي لجميع شؤون الأفراد ، ومنها الدينية والأخلاقية ، خلافاً للقانون الوضعي ، ففي جريمة قطع الطريق يقول الله جلّ شأنه : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [١] ، فذكر في الآية الجزاء الدنيوي والجزاء الأخروي معاً .

٣ . عموم الشريعة وبقاؤها :

فهي عامة لجميع البشر في كل زمان ومكان ، قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [٢] ، وهي باقية لا يلحقها نسخ ولا تغيير ، قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٣] .

٤ . شمول الشريعة :

فهي نظام شامل لجميع شؤون الحياة ، وهي ترسم للإنسان سبيل الإيمان وتبين له أصول العقيدة ، وتنظم صلته بربه ، وتأمره بتزكية نفسه ، وتحكم علاقاته مع غيره ، وهكذا لا يخرج من حكم الشريعة أي شيء ، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [٤] .

والمتأمل في كتاب الله يجد أن الشريعة قد نصت على كل الأحكام التي عرفها القانون الوضعي ، من أحكام : الأحوال الشخصية ، والمدنية ، والجنائية ، والمرافعات ، والدستورية ، والدولية ، والاقتصادية والمالية وغيرها [٥] .

هـ . الدين .

الدين : اعتقادات وأعمال موصى من يرغب في إتباعها بملازمتها رجاء حصول الخير منها في حياته الأولى الدنيوية ، وفي حياته الروحية الأبدية . سمى العرب هذا المعنى بالدين ، فقال النابغة [٦] في مدح ملوك غسان وكانوا نصارى : مَحَلَّتُهُم ذاتُ الإِلَهِ وَدينُهُم * * قَويمٌ فَما يَرجونَ غَيرَ العَواقِبِ [٧] .

(ومن أشهر التعريفات الإسلامية للدين أنه وضع إلهي سائغ لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل .

وهذا يشير إلى أن الدين وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات ، وإلى الخير في السلوك والمعاملات ، وقد جاء لفظ الدين في القرآن بعدة معانٍ مترابطة ، منها :

قوله تعالى : ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾[٨] أي أحسن طاعة وعبودية ، ودان لله بمعنى أطاعه وأحبه وخافه .

---

١ . سورة المائدة ، آية ٣٣ . ٢ . سورة الأعراف ، آية ١٥٨ .

٣ . سورة الحجر ، آية ٩ . ٤ . سورة النحل ، آية ٨٩ .

٥ . لتفصيل هذه الأحكام انظر أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف ص ٣٢ .

٦ . هو زياد بن معاوية الذبياني المضري ، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ، كانت تقصده الشعراء في سوق عكاظ فتعرض عليه أشعارها ، وكان حظياً عند النعمان بن المنذر ، ووفد على الغسانيين بالشام ، وعاش عمرا طويلا وتوفي عام ١٨ ق . هـ . انظر الأعلام ٣ / ٥٤ .

٧ . أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، محمد الطاهر بن عاشور ص ٦ ، والبيت من ديوان النابغة ، ص ١٢ . ومحلتهم : مسكنهم ، وذات الإله : بيت المقدس وجهة الشام وهي منازل الأنبياء ، قال القتيبي : تقديره كتاب الله ، وكانوا نصارى وكتابهم الإنجيل . والقول بمعنى أن : بلادهم خير البلاد ودينهم مستقيم ، وهم لا يخشون العواقب ويخافون الله .

٨ . سورة النساء ، آية ١٢٥ .

وقال تعالى : ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾ [١] ، أي في حكم الله وقانونه السماوي [٢] .

ويأتي لفظ الدين في القرآن بمعنى المنهج والطريقة ، يقول ﷻ : ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [٣] ، ويأتي بمعنى نظام الحياة عامة عقيدة وشريعة وخلقاً ، كما قال تعالى : ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ**﴾ [٤]) [٥] .

الدين والبيئة :

والواقع أن هناك تفاعل بين الدين ومناخ الحياة الاجتماعي ، فالأديان السماوية جميعاً تدرجت مراعية تقدم العقل البشري ، وخاطبت الناس على قدر عقولهم ، ويعطينا خاتم الديانات السماوية محمد ﷺ أمثلة معجزة في كيفية مراعاة الواقع الاجتماعي القائم ، مع محاولة السمو والنهوض به إلى المستوى الذي يرضى عنه الله ، ويتضح هذا في معالجة الإسلام الحنيف لتحريم الخمر والميسر والربا وغيرها من الأمور ، والكثير من آيات القرآن الكريم نزلت للإجابة على الأسئلة والاستفسارات الموجهة للرسول – عليه الصلاة والسلام – [٦] .

و . التعليم .

وهو من أهم مؤسسات البناء الاجتماعي ، والشريان الذي يغذي المؤسسات الأخرى ، وتشارك في تدعيمه ثلاث جهات وآليات فاعلة ، هي : الأسرة ، والمسجد ، والمدرسة ، ويرتكز على ثلاثة أركان هي : المعلم ، والمتعلم ، والمادة العلمية ، والقرآن بسط القول في فضل العلم والعلماء في كثير من آياته ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

قال تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٧) .

وقوله سبحانه:﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٨) .

وقوله : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ (٩) .

وفي هذه الآية فضيلة العلم والعلماء ؛ لأن الله خصهم بالذكر من دون البشر ، وقرن شهادتهم بشهادته ، وشهادة ملائكته ، وجعل شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين على توحيده ودينه وجزائه ، وأنه يجب على المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الصادقة (١٠) .

وقول الرسول ﷺ : (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (١١) .

وقوله جل شأنه : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١٢) .

---

١ . سورة النور ، آية ٢ . ٢ . انظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ٦ / ٤٦٨ .

٣ . سورة الكافرون ، آية ٦ . ٤ . سورة آل عمران ، آية ١٩ .

٥ . انظر الدين والبناء الاجتماعي ، د/ نبيل السمالوطي ص ٢١ ، وفي قوة الفكرة الدينية وضرورة الاستمساك بأهداب الدين ، انظر مجموعة رسائل حسن البنا ، ص ٣٤٦ وما بعدها . ٦ . انظر المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

٧ . سورة العلق ، الآيات ١ – ٥ . ٨ . سورة التوبة ، آية ١٢٢ .

٩ . سورة آل عمران ، آية ١٨ . ١٠ . تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١١٥ .

١١ـ أخرجه الطبراني عن ابن مسعود ، انظر المعجم الكبير، رقم ١٠٤٣٩، ١٩٥/١٠، وهو حسن ، وزيادة مسلمة التي اشتهرت على ألسن الناس لا أصل لها . ١٢ . سورة الزمر ، آية ٩ .

وإننا لنجد ما هو أوسع من ذلك ، فقد ربط الله كل ما في الوجود بالعلم ، واعتبره قائماً على قانون العلم والحكمة ، قال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١) .

فالله سبحانه قدر الأشياء ، أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها ، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه ، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه وقدرته وإرادته دون خلقه ، وأن الخلق لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة ، وأن ذلك كله إنما حاصل بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه وإلهامه (٢) .

ي . **الإعلام :**

من أهم المؤسسات الاجتماعية الكبرى ، وهو من الآليات الناجعة والفاعلة في إيصال صوت الحق إلى العالمين ، ومنبر له دوره الريادي والحضاري .

ولا غرو إذا قلنا إن الإعلام الإسلامي أداة مؤثرة من أدوات فقه الواقع المحلي والعالمي ، وربط الأمة بقضاياها المصيرية ، وتحدياتها المعاصرة .

فالإعلام : هو إيصال معلومة ، أو إبلاغ رسالة ، أو توجيه دعوة .

وبشيء من التوضيح : يعني تزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة ، والمعلومات والحقائق الثابتة والسليمة ، والتي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات ، بحيث يعتبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم [٣] .

أما الإعلام الإسلامي فهو : إعلام عام في محتواه ورسائله يبرمج بكل الطرق والأساليب العلمية المشروعة ، ويلتزم بالتصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة المستمد أساساً من القرآن الكريم ، وصحيح السنة النبوية ، وما ارتضته الأمة من مصادر التشريع في إطارهما [٤] .

مرتكزات العملية الإعلامية [٥] :

١ . الرسالة : وهي ما يتعلق بالمعلومة نفسها من حيث صحتها ، ووثائقها ، وصوابها .

٢ . المرسل : هو الناقل وما يتعلق به من خصائص ، وصفات ، وقدرة على الإبانة ، واستشعاره المسؤولية تجاه ذلك .

٣ . الوسيلة : وهي الآلية المستخدمة في إيصال المعلومة سواءً كانت : مكتوبة ، أو مسموعة ، أو مرئية .

٤ . المستقبل : وهو المتلقي وما يتعلق به : تاريخه ، وثقافته ، وواقعه ، وعمره الثقافي ، ومدى ملائمة المعلومة لعمره العقلي ...

---

١ . العلاقة الإنسانية في القرآن الكريم ، مطبوعات نادي مكة ص ٥٨ ، والآية ٤٩ من سورة القمر .

٢ . الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٩ / ١٢٥ .

٣ . الإعلام الإسلامي ، د/محمد منير حجاب ص٢٤، نقلاً عن الإعلام الإسلامي، إبراهيم الإمام، ص٢٧ الانجلو المصرية،الطبعة الأولى – ١٩٨٠ .

٤ . انظر موقع الرابطة الإسلامية للإعلام على الإنترنت ، www.imairaq.com .

٥ . انظر مقالات في الدعوة والإعلام ، نخبة من المفكرين والكتّاب ص ٢٤ .

٥ . التأثير : وهي السياسة المرسومة ، وعملية التحكم التي تخضع لها العملية الإعلامية ، فلئن كان الإعلام هو بث المعلومة وتوظيفها ، وتلقيها وهضمها ، واستيعابها ، فإن التحكم هو كيفية استعمال هذه المعلومة وتوظيفها في تغيير مجرى التفكير ، ودفع الاتجاهات النفسية إلى أهداف مقصورة ومحددة مسبقاً .

الوسائل الإعلامية :

منها ما هو أصيل ثابت ، ومنها ما هو جديد مستحدث ، وهي وسائل الدعوة بشكل عام ، حيث إن الإعلام جزء من رسالة الإسلام الدعوية .

فالوسائل الأصيلة تتمثل في : الكلمة الطيبة ، الإعلام بالصلاة – الأذان– ، المساجد ، الحج ، منابر الخطابة كمنبر الجمعة والعيدين ، الكتب والرسائل ، الأناشيد ، ... الخ .

والوسائل الحديثة تتمثل في : الأشرطة ، الأقراص المدمجة cd ، الأفلام الهادفة ، الراديو ، الفضائيات ، الصحف والمجلات ، المسرح ، السينما المنضبطة ، الإنترنت ، ... الخ

مؤهلات الإعلامي الإسلامي [١] :

١ . الإلمام بالأصول العقدية والفكرية والتشريعية للإسلام ، من خلال الثقافة الإسلامية في القرآن ، والحديث ، والتفسير ، والفقه ، والتوحيد ...

٢ . التحصيل اللغوي والتذوقي ، فاللغة وسيلة الإعلامي في مخاطبة الجمهور ، بل هي وعاء الفكر والثقافة ، فلابد من الإحاطة بها صرفاً ونحواً وفقهاً ، والتمكن من فنونها في القول والبيان ، والأسلوب والتعبير ، والتذوق الأدبي .

٣ . قدر وافٍ من المهارات العملية والمهنية المطلوبة في واقع الممارسة الميدانية ، وهو جانب تطبيقي يتكامل مع الجانب النظري ، ويتشكل في مجموعة من التقنيات الحديثة : فنون تقديم البرامج ، والبرمجة الإلكترونية ، وطرق الإنتاج والإخراج التلفزيوني ، ... الخ .

٤ . الإحاطة بالواقع الذي يعيش فيه من حيث : قضاياه ومشكلاته ، وأحداثه وتياراته ، وأبعاده وأنماطه ، كذلك ببعض المعارف والعلوم المعينة على فهم هذا الواقع وتحليله ، وهي علوم وثيقة الصلة بالإعلام كعلم النفس و الاجتماع، والعلوم السياسية والاقتصادية ، واللغات الأجنبية .

خصائص الإعلام الإسلامي (٢) :

١ . إعلام عقائدي أي يرتبط بالعقيدة الإسلامية في ثوابتها الإيمانية وتصوراتها الفكرية .

٢ . فرض كفاية بمعنى إذا نفر طائفة أو مجموعة إعلامية متخصصة للعمل على نشر دعوة الإسلام وفكرته للناس سقط عن الآخرين ، قال تعالى : ﴿**فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**﴾ (٣) .

٣ . إعلام علني وعام ، يشمل كل الشرائح المجتمعية ، وصفة العلن تقررها الآية الكريمة : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ (٤) ، وصفة العموم يشير

---

١ . انظر مقالات في الدعوة والإعلام ، نخبة من المفكرين والكتاب ، ص ٤١ .

٢ . انظر الإعلام الإسلامي ، محمد منير حجاب ص ٢٥ ، وموقع الرابطة الإسلامية للإعلام ، www.imairaq.com .

٣ . سورة التوبة ، آية ١٢٢ .

٤ . سورة البقرة ، آية ١٥٩ .

إليها قوله : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (١) .

٤ . فيه يتسم مضمون الرسالة الإعلامية بالتنظيم ويرتبط بالأهداف الموضوعة ، ويأخذ في الاعتبار خصائص المستقبلين .

٥ . الأثر الإعلامي للإعلام الإسلامي محدد سلفاً في غرض الإبلاغ ، أما محاولة إملاء الإرادة والإقناع بالقوة فغير وارد تماماً ، قال تعالى : ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ (٢) .

٦ . القوة الذاتية للإعلام الإسلامي في سرعة الانتشار ، وسلامة التخطيط ودقة التنفيذ ، وقياس الأثر ، لا تضارع بأي إعلام آخر ، وقد تضمنت ذلك الآية الكريمة : ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ (٣) .

٧ . إعلام موضوعي إيجابي ، أي يقوم على التحليل والوضوح والتأمل ، وينقي نفسه دائماً من مختلف مسببات الضعف والانحراف ، ويركز على أن يكون التغيير والتطوير نحو الأفضل في إطار مبادئ الإسلام وقيمه .

٨ . الإعلام الإسلامي لا يفتعل الأحداث ، ولكنه يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، ويحاول من خلالها أن يشد انتباه الناس إلى مواطن الدرس والعظة والعبرة ، فهو إعلام يعالج واقع قائم ، ووقائع حادثة ، ولعل هو السبب في نزول القرآن منجماً على مدى ثلاثة وعشرين عاماً .

. العمليات الاجتماعية الأساسية ، ومنها :

التعاون والاتصال ، التغير الاجتماعي ، الانحراف والجريمة ، التمايز والطبقات ، التكافل الاجتماعي .

التعاون والاتصال .

التعاون : يعني ضم الجهود المادية والمعنوية بعضها إلى بعض ، والتنسيق بينهما للوصول إلى هدف إنساني نبيل للمتعاونين وهو أحد مظاهر التفاعل الاجتماعي المرغوب فيه [٤] .

بيد إن الإسلام جعل التعاون بين المسلمين أو بين المسلمين وغيرهم قائماً على أساس من الباقيات الصالحات (وتعاونوا على البر والتقوى) ، ونهى عن التعاون القائم على القطيعة والاعتداء (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) [٥] .

(وإذا كان التعاون بين المسلمين على البر والتقوى فإن مجالاته تتسع إلى ما لا نهاية له من أنواع الخير وأعماله ، وقد عنون الإمام البخاري[٦] – رحمه الله – في صحيحه: باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ، وجاء تحت هذا الباب ما رواه

---

١ . سورة سبأ ، آية ٢٨ . ٢ . سورة البقرة ، آية ٢٥٦ .

٣ . سورة يوسف ، آية ١٠٨ . ٤ . التربية الاجتماعية الإسلامية ، د / علي عبد الحليم ص ٣٥٦ .

٥ . انظر قواعد البناء في المجتمع الإسلامي ، محمد السيد الوكيل ص ٢٨ .

٦ . هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، ولد في بخارى سنة ١٩٤ هـ ، وقام برحلة طويلة في طلب الحديث ، وسمع من ألف شيخ ، وجمع نحو ستمائة ألف حديث ، واختار منها في صحيحه ما وثق بروايته ، فهو حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ، وكتابه الجامع الصحيح أصح الكتب بعد كتاب الله ، توفي في سمرقند عام ٢٥٦ هـ ، ومن مؤلفاته : التاريخ ، الضعفاء ، الأدب المفرد ، خلق أفعال العباد . انظر تاريخ بغداد ٢ / ٥ ، شذرات الذهب ٢ / ١٣٤ ، طبقات الحنابلة ١ / ٢٥٤ ، الوافي بالوفيات ٢ / ١٤٨ ، الأعلام ٦ / ٣٤ .

البخاري بسنده عن أبي موسى الأشعري [١] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه ...) [٢] .

فالتعاون بين المسلمين هو لحمة الصلة التي تربط بين أفراد المجتمع فلا تدع واحداً منهم يشذ ، أو يترك يتخلف ، كلبنة لم تشد إلى أختها فتصبح معرضة في أي لحظة للسقوط والانهيار) [٣] .

التغير الاجتماعي .

هو ظاهرة أساسية تتميز بها الحياة الاجتماعية في سبيل بقائها ونموها ونهايتها إلى التوازن مع الواقع والاستقرار الاجتماعي [٤] .

والتغير الاجتماعي يعد من العمليات الاجتماعية التي تؤدي إلى التبديل والتحوير في أوجه الحياة واتجاهات الأفراد وسلوكهم ، عكس العمليات التي تسعى للحفاظ على النظم والقيم داخل البناء الاجتماعي مثل التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي [٥] .

ومظاهره كغيرها من الظواهر الاجتماعية التي تناولها القرآن الكريم بوضوح من حيث هي قانون اجتماعي مبني على الصراع ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [٦] ، وقوله : ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [٧] .

ولا شك أن قانون التدافع الذي يقود إلى التغيير ، يرجع إلى سنن الله في الكون ، قال تعالى : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [٨] .

وتكمن نظرة القرآن إلى التغيير في تلك العلاقة السببية بين تغيير الأنفس وتغيير المجتمع ، وأن تغيير المجتمع رهن تغيير الأنفس ، وهذا التغيير لا يمكن أن يتم إلا بالتربية والتعليم فبدون التربية لن تتغير الأنفس التي هي مقدمة منطقية لتغيير المجتمع ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [٩] ، وقوله سبحانه : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [١٠] .

---

١ . هو عبدالله بن قيس ، من بني الأشعر ، صحابي ، من الشجعان الولاة الفاتحين ، وأحد الحكمين بعد حرب صفين ، ولد باليمن وتوفي بالكوفة سنة ٤٤ هـ ، وكان أحسن الصحابة صوتاً في التلاوة ، وله ٣٥٥ حديثاً . انظر الطبقات الكبرى ٤ / ٧٨ ، صفة الصفوة ١ / ٢٨٤ ، أسد الغابة ٣ / ٣٦٤ ، الوافي بالوفيات ١٧ / ٢٢٠ ، الأعلام ٤ / ١١٤ .

٢ . انظر فتح البارئ مع صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، رقم ٢٤٤٦ ، ١٢٢/٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، رقم ٢٥٨٥ ، ٤ / ١٩٩٩ ، ومسند أحمد ، رقم ١٩٥١٥ ، ١٤ / ٥٣١ .

٣ . قواعد البناء في المجتمع الإسلامي ، محمد السيد الوكيل ص ٢٨ .

٤ . التغير الاجتماعي ، د/ سيف الإسلام مطر ص ٨ ، نقلا عن علم النفس الاجتماعي ، حامد زهران ، عالم الكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص٢٤٤ .

٥ . انظر المصدر السابق ، ص ١٢ .

٦ . سورة البقرة ، آية ٢٥١ .

٧ . انظر التغير الاجتماعي ، سيف الإسلام مطر ص ٢١ ، والآية ١٤٠ من سورة آل عمران .

٨ . سورة الفتح ، آية ٢٣ .

٩ . سورة الرعد ، آية ١١ .

١٠ . التغير الاجتماعي ، مطر ص ٢٢ ، والآية ٥٣ من سورة الأنفال .

الانحراف والجريمة .

الجريمة هي الجانب الذي يتناول الانحراف في المعاملات أو السلوك العدواني بين الناس ، والمخالفة عن الأوامر والتعاليم التي تنظم حياة الفرد والجماعة ، وما يستحقه ذلك من جزاء مانع أو زاجر [١] .

وأجمع ما عرف في هذا الباب – مع الإيجاز والشمول – هو ما قاله الماوردي [٢] – رحمه الله – : الجرائم محظورات شرعية ، زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزير ، ولها عند التهمة حال استبراء تقتضيه السياسة الدينية ، ولها عند ثبوتها وصحتها حال استيفاء توجبه الأحكام الشرعية [٣] .

وهذا يعني إن الجريمة لا تكون إلا بحظر من الشارع ، وأن العقوبة لا تتقرر إلا على الجريمة سواء كانت العقوبة حداً أو تعزيراً ، وأن آلية تنفيذ العقوبات موكولة إلى الجهات التنفيذية المختصة في الدولة ، وذلك في حالة ثبوت الجريمة واستيفاء شروطها .

وجملة ما حظرته الشريعة – تفصيلاً أو اندراجاً تحت أصل – يرجع إلى حفظ مصلحة الفرد والمجتمع فيما يتعلق بالكليات الخمس التي تواطأت على حفظها الشرائع الإلهية جميعاً ، وهي : حفظ الدين ، والعقل ، والعرض ، والنفس ، والمال [٤] .

فالعقوبة على جريمة الردة شرعت لحفظ الدين ، قال تعالى :﴿**وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [٥] ، وفيها قال الرسول– ﷺ – : (من بدل دينه فاقتلوه) [٦] .

والعقوبة على جريمة السرقة شرعت لحفظ المال ، قال ﷻ : ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [٧] .

والعقوبة على جريمة الخمر شرعت لحفظ العقل ، قال جل شأنه : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [٨] .

والعقوبة على جرائم الزنا والقذف ، شرعت لحفظ العرض والنسل ، قال تعالى : ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾ [٩] ، وقال سبحانه : ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً**﴾ [١٠] .

---

١ . انظر المعاملات في الإسلام ، د/ عبد الستار فتح الله ص ١٤٧ .

٢ . هو أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي : أقضى قضاة عصره ، ومن العلماء الباحثين ن ولد في البصرة عام ٣٦٤ هـ ، وكان له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والملوك ، ونسبته إلى بيع ماء الورد ، توفي سنة ٤٥٠ هـ . ومن مصنفاته : أدب الدنيا والدين ، النكت والعيون في التفسير ، أدب الوزير ، الأحكام السلطانية ، أعلام النبوة ، الأمثال والحكم . انظر شذرات الذهب ٣ / ٢٨٥ ، الوافي بالوفيات ٢١ / ٢٩٧ ، الأعلام ٤ / ٣٢٧ .

٣ . الأحكام السلطانية ، الماوردي ص ٢٢٧ .

٤ . انظر المعاملات في الإسلام ، عبد الستار فتح الله ص ١٥١ .

٥ . سورة البقرة ، آية ٢١٧ .

٦ . أخرجه الجماعة إلا مسلماً ، ورواه أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل ، رقم ٢١٩١٤ ، ١٦ / ١٦٧ .

٧ . سورة المائدة ، آية ٣٨ .

٨ . سورة المائدة ، آية ٩٠ .

٩ . سورة النور ، آية ٢ .

١٠ . سورة النور ، آية ٤ .

والعقوبة على جرائم القتل والحرابة شرعت للحفاظ على النفس ، قال تعالى : ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ**﴾ [١] .

(وتعتبر العقوبة محققة لمصلحة الجماعة كلما بعدت عن الإفراط والتفريط ، وذلك إذا توفرت فيها العناصر الآتية :

١ . أن تكون كافية لتأديب الجاني ، ومانعة له من معاودة الجريمة .

٢ . أن تكون العقوبة كافية لجزر الغير عن ارتكاب الجريمة .

٣ . أن يكون هناك تناسب بين العقوبة والجريمة .

٤ . أن تكون العقوبة عامة بحيث تطبق العقوبة المقررة للجريمة على من ارتكبها ، فلا يعفى منها أحد لمركزه ، أو لشخصه أو لغير ذلك من الاعتبارات) [٢] .

التمايز والطبقات .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [٣] .

وقد وضعت هذه الآية الكريمة أساس المساواة بين البشر جميعا قبل أن يتشدق بها المتشدقون من علماء الاجتماع ، وما زالت الأمم تخضع لنظام الطبقات ، وتفرق بين الأفراد على غير أساس إلا التوارث والعصبية الباطلة ، حتى جاء الإسلام بدستوره العادل القويم ، فصدع هذه النظم ، وقضى على تلك الفوارق [٤] .

ومن المعلوم إن الإسلام ألغى الامتيازات بسبب اللون أو الجنس أو النسب أو الطبقة أو المال أو المنصب ، واعتبر ذلك إخلالاً بأصل الاعتقاد بوحدة البشر الذين خلقهم من أصل واحد ، قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** ﴾ [٥] ، وقال الرسول ﷺ : (إن الله يكره أن يرى عبده متميزا) [٦] ، ووصف الرسول ﷺ النساء بأنهن شقائق الرجال ، والخادم بأنه أخ [٧] .

(وإذا كان معيار التمايز الطبقي في علم الاجتماع يتضمن عدة مؤشرات كالدخل والملكية ، والتعليم والمهنة ، وحق السكن ... الخ ، فإن الإسلام يرفض كل هذه المعايير ، ويعترف بالتمايز بين البشر استناداً إلى معيارين فقط .

١ . معيار التقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، بحيث لا يقيم وزناً للتمايز اللوني أو في الثروات أو في الحسب والنسب ؛ لأن الله هو الذي قسم بين الناس معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، قال تعالى : ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً** ﴾ [٨] .

٢ . معيار العلم والتعلم ، قال تعالى : ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾) [٩] .

---

١ . سورة المائدة ، آية ٣٣ . ٢ . انظر التشريع الجنائي الإسلامي ، عبد القادر عودة ١ / ٣٨٥ .

٣ . سورة الحجرات ، آية ١٣ .

٤ . انظر نظرات في كتاب الله ، حسن البنا ، تحقيق عصام تليمة ، ص ٤٦٧ وما بعدها ، نقلاً عن جريدة الإخوان المسلمون الأسبوعية ، العدد ١٥ ، الصادر في ٢٢ من يوليو سنة ١٩٣٥ م . ٥ . سورة الروم ، آية ٢٢ .

٦ . انظركشف الخفاء،العجلوني ،رقم ٢٥٠/٧٦٥،١، وقال في المقاصد لا أعرفه، ثم روبله شاهد في جزء تمثال النعل الشريف لأبي اليمن بن عساكر.

٧ . نظام الإسلام – الحكم والدولة ، محمد المبارك ، ص ٤٤ . ٨ . سورة الزخرف ، آية ٣٢ .

٩ . انظر بناء المجتمع الإسلامي ونظمه ، نبيل السمالوطي ص ٢٥٤ وما بعدها ، والآية رقم ١١ من سورة المجادلة .

التكافل الاجتماعي .

التكافل بين المسلمين يعني التعاهد والتضامن ، والتعاقد والتعاضد ، ومعناه أن يكفل المسلمون بعضهم بعضاً للوصول إلى هدف اجتماعي نبيل [١] .

(إذن هو شعور الجميع بمسؤولية بعضهم عن بعض ، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ، ومحمول على أخيه ، يسأل عن نفسه ، ويسأل عن غيره .

وهذا في الواقع قانون من قوانين الاجتماع الراقي ، وعنصر من عناصر الحياة الطيبة ، يتوقف عليه كمال السعادة ،بل هو الأساس في حياة الأمم وبقائها عزيزة كريمة متمتعة بهيبتها ، قائمة بواجبها) [٢] .

وللتكافل شعبتان [٣] :

شعبة مادية : وسبيلها يد المعونة في حاجة المحتاج ، وإغاثة الملهوف ، وتفريج كربة المكروب ، وتأمين الخائف ، وإشباع الجائع ، والمساهمة العملية في إقامة المصالح العامة ، وقد دعا القرآن الكريم إلى هذا التعاون المادي وحث عليه ، واستنهض الهمم فيه ، وأطلق عليه عناوين : إحسان ، زكاة ، صدقة ، إنفاق ، حق ، في سبيل الله ... الخ .

وشعبة معنوية : ونعني بها تكافل المسلمين جميعاً وتعاونهم المعنوي بالتعليم والنصح والإرشاد والتوجيه ، وقد أعطاه القرآن اسماً كريماً يحببه إلى النفوس ، ويغري به العقول والقلوب ، فسماه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

١ . التربية الاجتماعية الإسلامية ، د / علي عبد الحليم محمود ، ص ٣٥٦ .

٢ . انظر الإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت ، ص ٤٣٥ .

٣ . المصدر السابق ، ص ٤٣٦ .

رابعاً . العنصر الزمني .

إن هذا الواقع الزمني ، أو ما يسميه البعض – البعد الرابع – جعله الإسلام وعاءً لحياة الإنسان يسير مظاهرها جميعاً، في السكن والحركة ، والحل والترحال ، وفي العبادة والسلوك ، وفي الواقع الماثل ، والمستقبل الواعد .

وقضية الوقت ليست إحدى قضايا حياة المسلم ، بل هي رأس هذه القضايا فما الوقت إلا الحياة ، وما هذه الدقائق والثواني فضلاً عن الساعات والأيام – إلا العمر الإنساني .. وإلا الحياة الإنسانية !! [١] .

عناية القرآن الكريم بالزمن .

١ . (أقسم الله به في مختلف أطواره ، في آيات جمة إشعاراً منه بقيمة الزمن ، وتنبيهاً إلى أهميته ، فأقسم جل شأنه بالليل والنهار ، والفجر والصبح ، والشفق ، والضحى ، والعصر ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ (٢) . قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : العصر هو الزمن . وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسير سور العصر ، ما ملخصه : أقسم الله تعالى بالعصر – الذي هو الزمن – لما فيه من الأعاجيب ؛ لأنه فيه السراء والضراء ، والصحة والسقم ، والغنى والفقر ؛ ولأن العمر لا يُقوَّم بشيء نفاسةً وغلاءً) (٣) .

٢ . ارتباط الفرائض والشعائر التعبدية بالوقت ، ودورانها في فلكه ، ففي تنظيم الصلاة ومواقيتها يقول الله تعالى : ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً** ﴾ (٤) ، وفي الصوم قوله تعالى : ﴿**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ (٥)، وفي الزكاة التي تجب بعد مرور الحول في معظم أحوالها ، يقول سبحانه في زكاة الزروع والثمار : ﴿**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ** ﴾ (٦) ، وفي شعيرة الحج : ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ** ﴾ (٧) .

٣ . تنوع ألفاظ الزمن ، فهناك الأزمنة الطويلة وهي : الأبد ، الأمد ، السرمد ، الدهر ، وهناك الأزمنة القصيرة : الآن ، والأزمنة الليلية ، والأزمنة النهارية . وهناك الأزمنة ذات الاستعمالين أو المتوسطة وهي : الحين ، الوقت ، العصر ، المدة ، الفترة ، الأمة ، العهد ، الأجل ، العمر .

وهذا التعدد يدل على امتداد الواقع الإسلامي ، واستيعابه للماضي والحاضر والمستقبل ، وأن الزمن يقاس بعمر الأمم والدعوات وليس بعمر الأفراد والملذات .

٤ . تمدَّح سبحانه بأنه مالك الزمان والمكان ، وما يحل فيهما من زمانيات ومكانيات ، فقال : ﴿**وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ (٨) .

٥ . بتوقف الزمن تبدأ إرهاصات الساعة الأولى ، وعلامات القيامة الكبرى ، قال تعالى : ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ (٩) ، وقال جل شأنه : ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ** ﴾ (١٠) .

---

١ . الوقت في حياة المسلم ، د/ القرضاوي ص ٥ . ٢ . سورة العصر ، الآيات ١ – ٣ .

٣ . انظر قيمة الوقت عند العلماء ، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص ٢٠ – ٢١ ، ومفاتيح الغيب للرازي ، ١٦ / ٨٠ .

٤ . سورة النساء ، آية ١٠٣ . ٥ . سورة البقرة ، آية ١٨٥ .

٦ . سورة الأنعام ، آية ١٤١ . ٧ . سورة البقرة ، آية ١٩٧ .

٨ . قيمة الزمن عند العلماء ، أبوغدة ص ١٨ ، والآية ١٣ من سورة الأنعام .

٩ . سورة القمر ، آية ١ . ١٠ . سورة الأحقاف ، آية ٣٥ .

خصائص الوقت (١) :

للوقت خصائص يتميز بها ، يجب علينا أن ندركها حق إدراكها ، وأن نتعامل معه على ضوئها .

١ . سرعة انقضائه : فهو يمر مر السحاب ، ويجري مجرى الريح ، سواء كان زمن مسرة وفرح أم زمن اكتئاب وترح ، غير أن أيام الهموم والأحزان تسير أبطأ من أيام المسرة والأفراح ، لا في الحقيقة ولكن في شعور صاحبها ، وعند قيام

الساعة يتراءى للإنسان قصر ما فات وضآلته ، حتى يقول الله تعالى :﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (٢) .

٢ . أن ما مضى منه لا يعود ولا يعوض : فكل يوم يمضي ، وكل ساعة تنقضي ، وكل لحظة تمر ، ليس في الإمكان استعادتها ، وبالتالي لا يمكن تعويضها ، وفي هذا يقول الحسن البصري : (ما من يوم ينبثق فجره ، إلا وينادي : يا ابن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني ، فإني إذا قضيت لا أعود إلى يوم القيامة)

ولله در القائل : ولست بمدرك ما فات مني * بلهف ولا بليت ولا لو اني (٣) .

٣ . أنه أنفس ما يملك الإنسان :

وترجع نفاسة الوقت إلى أنه وعاء لكل عمل وكل إنتاج ، فهو في الواقع رأس المال الحقيقي للإنسان ، فرداً أو مجتمعاً ، إنه كما قال الإمام الشهيد حسن البنا (٤) – رحمه الله – : (من عرف حق الوقت ، فقد أدرك الحياة ، فالوقت هو الحياة ! فما حياة الإنسان إلا الوقت الذي يقضيه من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة) (٥) .

قال ابن القيم : فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة ، ومادة حياته الأبدية في النعيم المقيم ، ومادة المعيشة الضنك في العذاب الأليم ، وهو يمر أسرع من السحاب ، فمن كان من وقته لله وبالله ، فهو حياته وعمره ، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته ... فإذا قطع وقته في الغفلة والشهوة والأماني الباطلة ، وكان خير ما قطعه بالنوم والبطالة ، فموت هذا خير من حياته ، وإذا كان العبد وهو في الصلاة ليس له من صلاته إلا ما عقل منها ، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله ولله (٦) .

---

١ . انظر الوقت في حياة المسلم ، القرضاوي ص ١٢ وما بعدها .

٢ . سورة النازعات ، آية ٤٦ .

٣ . هذا البيت ليس له قائل – بلا نسبة – ، انظر خزانة الأدب ولب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ١ / ١٣١ ، والمعجم المفصل في الشواهد النحوية ، د / أميل يعقوب ٢ / ١٠٢٥ .

٤ . هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا ، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨ م ، وصاحب دعوتهم ، ولد في البحيرة بالمحمودية سنة ١٩٠٦ م ، وتخرج من دار العلوم بالقاهرة ، وهو يحفظ ثمانية عشر ألفاً بيتاً من الشعر ومثلها من النثر ، واشتغل بالتعليم وتنقل بين البلدان المصرية متعرفا على أهلها وطباعهم ، فزار أكثر من ٣٠٠٠ قرية ، واستقر بالاسماعلية ومنها انطلق لتأسيس أول دار للإخوان ، ونقل بعدها إلى القاهرة ، فأنشأ المركز العام بها ، بالإضافة إلى المؤسسات والمدارس التي تتبع دعوته ، وكان ديدنه إبراز الإسلام بشموله وعالميته وواقعيته ... الخ ، ووسيلته في ذلك إلقاء المحاضرات والدروس والخطب ، وعقد المحاضرات والمخيمات الدعوية . واغتيل بإطلاق النار عليه أمام جمعية الشبان المسلمين سنة ١٩٤٩ م ، كان خطيباً مفوهاً تدور آيات القرآن على لسانه ، منظماً يعمل في هدوء ويبني في اطمئنان ، له : مجموعة الرسائل ، مذكرات الدعوة والداعية ، ومجموعة مقالات في صحافة الإخوان وغيرها . وجماعته الآن كبرى الحركات الإسلامية ، وتنتشر في أكثر من سبعين دولة إسلامية ، ولها ثقلها العالمي المعروف . انظر الأعلام ٢ / ١٨٤ ، الدعوة الإسلامية فريضة وضرورة ، د/ صادق أمين ص ١٤٣ وما بعدها .

٥ . انظر قيمة الوقت عن العلماء ، أبو غدة ص ١١٣ ، والوقت في حياة المسلم ، القرضاوي ص ١٤ .

٦ . الداء والدواء – الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي – ، ابن القيم ص ١٨٣ .

واجب المسلم نحو وقته (١) :

١ . الحرص على الاستفادة من الوقت .

بأن يحافظ عليه كما يحافظ على ماله بل أكثر ، وأن يحرص على الاستفادة من وقته كله ، فيما ينفعه في دينه ودنياه ، وما يعود على أمته بالخير والسعادة ، والنماء الروحي والمادي .

يقول الحسن البصري : أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم .

وفي مثل هذا يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما !

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلي ، ولم يزد فيه عملي .

ونقل ابن القيم عن الإمام الشافعي قوله : صحبت الصوفية ، فما انتفعت منهم إلا بكلمتين ، سمعتهم يقولون : الوقت سيف ، فإن قطعته وإلا قطعك ، ونفسك إن لم تشغلها بالحق ، وإلا شغلتك بالباطل [2] .

ويقول الشاعر : دَقّاتُ قَلبِ المَرءِ قائِلَةٌ لَه ُ * * إِنَّ الحَياةَ دَقائِقٌ وَثَواني

فَارفَع لِنَفسِكَ بَعدَ مَوتِكَ ذِكرَها * * فَالذِكرُ لِلإِنسانِ عُمرٌ ثاني [3] .

٢ . اغتنام الفراغ :

ومن النعم التي يغفلها كثير من الناس ، ويجهلون قدرها ، ولا يقومون بحق شكرها : نعمة الفراغ ، فقد قال رسول الله ﷺ : (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ) [4] .

وفي الحديث الآخر : (اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناءك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك) [5] .

ويشتد خطر الفراغ إذا اجتمع معه الشباب الذي يتميز بقوة الغريزة والجدة : أي المقدرة المالية التي تمكن الإنسان من تحصيل ما يشتهي .. وفي هذا يقول أبو العتاهية [6] : إن الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للمرء أي مفسدة [٧] .

وكان السلف الصالح يكرهون من الرجل أن يكون فارغاً ، لا هو في أمر دينه ، ولا هو في أمر دنياه ، وهنا تنقلب نعمة الفراغ نقمة على صاحبها .

---

١ . انظر الوقت في حياة المسلم ، القرضاوي ص ١٦ وما بعدها .

٢ . مدارج السالكين ، ابن القيم ٣ / ١٢١ .

٣ . ديوان أحمد شوقي ، ٣ / ١٦١ .

٤ . أخرجه البخاري عن ابن عباس ، فتح البارئ مع صحيح البخاري ، كتاب الرقائق ، رقم ٦٤١٢ ، ١١ / ٢٧٥ وما بعدها .

٥ . أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ، رقم ٧٨٤٦ ، ٤ / ٣٤١ ، وقال الحاكم : هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

٦ . هو إسماعيل بن القاسم العنزي المشهور بأبي العتاهية ، شاعر مكثر ، ولد بالكوفة سنة ١٣٠ هـ ، وكان ينظم المائة والمائة والخمسين بيتاً في اليوم ، وهو يعد من طبقة المولدين كأمثال بشار وأبي نواس ، وأكثر شعره في الزهد والحكمة والمديح ، وتوفي ببغداد سنة ٢١١ هـ . انظر تاريخ بغداد ٦ / ٢٤٩ ، وفيات الأعيان ١ / ٢٢٢ ، الوافي بالوفيات ٩ / ١١١ ، الأعلام ١ / ٣٢١ .

٧ . ديوان أبي العتاهية ، ص ٤٩٥ ، وفي رواية : إن الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للعقل أي مفسدة .

يقول الإمام النووي [١] – رحمه الله – : ينبغي للمتعلم أن يغتنم التحصيل في وقت الفراغ والنشاط ، وحال الشباب وقوة البدن ، ونباهة الخاطر ، وقلة الشواغل ، وعوارض البطالة [٢] .

ويقول ابن الجوزي [٣] – رحمه الله – في أهمية الزمن : ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته ، فلا يضيع فيه لحظة في غير قربة ، ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل ، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور ، بما لا يعجز عنه البدن من العمل ... [٤] .

٣ . المسارعة في الخيرات :

ويجدر بالمؤمن الذي يقدر قيمة الوقت وأهميته ، أن يغمره بعمل الصالحات وفعل الخيرات ، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . لذلك نجد أن القرآن أمر باستباق الخيرات والمسارعة إليها ، قبل أن تشغل عنها الشواغل ، أو تعوقها العوائق ، يقول تعالى : ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٥] .

ويقول جل شأنه مرغباً في الجنة ونعيمها : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٦] ، فهو يأمر بالمسارعة والمسابقة إلى مغفرة الله وجنته ، أي : أسبابها ، وهي الإيمان ، والتقوى، والعمل الصالح ، والتسابق والتنافس هنا مطلوب ومحمود : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [٧] .

٤ . الاعتبار بمرور الأيام :

وينبغي للمؤمن أن يتخذ من مرور الليالي والأيام عبرة لنفسه ، فإن الليل والنهار يبليان كل جديد ، ويقربان كل بعيد ، ويطويان الأعمار ، ويشيبان الصغار ، ويفنيان الكبار ، يقول سبحانه : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [٨] ، ويقول جل شأنه : ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [٩] .

٥ . تنظيم الوقت :

فمن تنظيم الوقت إعطاء كل عمل حقه دون الطغيان على الأعمال الأخرى ، أي شمول الوقت كل الأعمال المطلوبة مع التوازن بينها ، ومراعاة الأولوية ، فلا يطغى غير المهم على المهم ، ولا المهم على الأهم ، ولا غير الموقوت على الموقوت .

---

١ . هو أبو زكريا يحي بن شرف النووي ، علامة بالفقه والحديث ، مولده في نوا من قرى حران بسوريا سنة ٦١٣ هـ ، ووفاته بها عام ٦٧٦ هـ، وإليها نسبته ، تعلم في دمشق وأقام بها زمناً طويلاً ، من كتبه : المنهاج في شرح صحيح مسلم ، التبيان في آداب حملة القرآن ، المجموع شرح المهذب للشيرازي ، خلاصة الأحكام من مهمات السنن وقواعد الإسلام . انظر طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي ٤ / ٤٧١ ، طبقات الشافعية ، ابن قاضي شهبة ٢ / ٩ ، شذرات الذهب ٥ / ٣٥٤ ، الأعلام ٨ / ١٤٩ .

٢ . انظر قيمة الزمن عند العلماء ، أبوغدة ص ١١٤ ، نقلاً عن مقدمة النووي في كتابه المجموع ١ / ٦٩ .

٣ . هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ، علاّمة عصره في التاريخ والحديث ، وكثير التصانيف ، ولادته ببغداد سنة ٥٠٨ هـ ، ووفاته بها سنة ٥٩٧ هـ ، ونسبته إلى مشرعة الجوز ، من كتبه : الأذكياء وأخبارهم ، مناقب عمر بن عبد العزيز ، تلبيس إبليس ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، صيد الخاطر ، الضعفاء والمتروكين ، زاد المسير في التفسير . انظر وفيات الأعيان ٣ / ١١٦ ، الوافي بالوفيات ١٨ / ١٠٩ ، شذرات الذهب ٤ / ٣٢٩ ، الأعلام ٣ / ٣١٦ .

٤ . صيد الخاطر ، ابن الجوزي ص ١٨ .

٥ . سورة البقرة ، آية ١٤٨ .

٦ . سورة آل عمران ، آية ١٣٣ .

٧ . سورة المطففين ، آية ٢٦

٨ . سورة آل عمران ، آية ١٩٠ .

٩ . سورة النور ، آية ٤٤ .

وجاء في الأثر : (إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه) [١] .

ومما رواه النبي ﷺ عن صحف إبراهيم عليه السلام : (ينبغي للعاقل – مالم يكن مغلوباً على عقله – أن يكون له أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر في صنع الله ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب) (٢) .

ومن تنظيم الوقت الإيجاز في تنفيذ المهام ، والتعاون عليها ، وهذا ما أوصى به الإمام الشهيد فقال : الواجبات أكثر من الأوقات فعاون غيرك على الانتفاع بوقته وإن كان لك من مهمة فأوجز في قضائها (٣) .

(وإن أهم ما يساعد على اغتنام الوقت وتنظيمه : ترتيب الأعمال ، والانحياش عن المجالس الفارغة الخاوية ، وترك الفضول في كل شيء ، ومصاحبة المجدين النبهاء الأذكياء المتيقظين للوقت والدقائق ، وقراءة أخبار العلماء الأفذاذ أصحاب التراجم الحافزة ، والتذاذ المرء بحلاوة كسب الوقت في الإنتاج العلمي ، والانغمار في متعة المطالعة والاستزادة من المعرفة ، والاطلاع وتنقيح المعلومات) (٤) .

٦ . تحري الأوقات الفاضلة :

وينبغي للمسلم الحريص على استباق الخيرات ، أن يتحرى الأوقات التي ميزها الله بخصائص روحية فضلها بها على غيرها .

فكما فضل الله بعض الأشخاص على بعض ، وبعض الأنواع على بعض ، وبعض الأمكنة على بعض ، فضّل كذلك بعض الأزمنة على بعض : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (٥) .

فقد فضل في الليل ساعات السحر ، وهي الثلث الأخير من الليل ، ولهذا وصف المتقين المحسنين بقوله : ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٦) ، وفضل من أيام الأسبوع يوم الجمعة ، وفضل من أيام العام : أيام عشر ذي الحجة ، وأفضلها يوم عرفة ، وفضل من الشهور شهر رمضان ، وفضل من الشهور من بعد رمضان : الأشهر الحرم ، وهي : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم .

يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ (٧) ، وظلم النفس محرم في كل شهر ، ولكنه في الأشهر الحرم أشد إثماً .

---

١ . أخرجه البخاري عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه ، وهو قول سلمان الفارسي لأخيه أبي الدرداء ، وقد أقره عليه الرسول ﷺ . فتح البارئ ، كتاب الصوم ، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ، رقم ١٩٦٨ ، ٤ / ٢٥٦ ، وفي بعض الروايات زيادة : إن لجسدك عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقا .

٢ . أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر ، ٢ / ٧٨ .

٣ . الوصية العاشرة في رسالة المأثورات ، حسن البنا ، ص ٢٦ .

٤ . قيمة الزمن عند العلماء ، أبو غدة ص ١١٣ .

٥ . سورة القصص ، آية ٦٨ .

٦ . سورة الذاريات ، آية ١٨ .

٧ . سورة التوبة ، آية ٣٦ .

<u>بعد هذا العرض المفصل لعناصر تشكيل الواقع يمكن القول أن :</u>

الواقع الإنساني (اجتماعي ، سياسي ، اقتصادي ، ثقافي) ، والواقع البيئي (طبيعي ، زمني) .
وهذه العناصر تتشابك وتتداخل فيما بينها إلا إنه يمكن استنتاج ما يلي [١] :

١ . الواقع البيئي يجري على قانون ثابت في تحول أوضاعه ، وفي تفاعلاته المفضية إلى حركة التغيير فيه ، ولذلك فإن الاجتهاد في فهم حقيقته يثمر المعرفة اليقينية بتلك الحقيقة ، قال تعالى : ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ [٢] .

٢ . الواقع الإنساني ليس منضبطاً كواقع البيئة والكون ، فالعنصر الروحي في تكوين الإنسان ، والإرادة الحرة التي يختص بها ، جعلا هذا الواقع يتصف بقدر كبير من الخفاء في العوامل والأسباب التي تنشأ عنها الظواهر والأحداث ، قال تعالى : ﴿**وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**﴾[٣] ، وقال : ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ [٤] .

وهذا لا يعني خلو حياة الإنسان الواقعية من قوانين ثابتة ، بل هناك قوانين عامة مثل : انتشار الكفر والفساد مؤدٍ إلى الهلاك ، قال تعالى : ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [٥] ، وما ذكره ابن خلدون [٦] من أن الظلم مؤذن بخراب العمران وزوال السلطان [٧] . أما قوانين الأحداث الجزئية فيصعب تصورها ، ومن ثم صياغتها في محيط الإنسان الواقعي .

---

١ . انظر فقه التدين فهماً وتنزيلاً ، عبد المجيد النجار ، ١ / ١٢٤ .

٢ . سورة فاطر ، آية ٤٣ .

٣ . سورة الإسراء ، آية ٨٥ .

٤ . سورة الذاريات ، آية ٢١ .

٥ . سورة النحل ، آية ١١٢ .

٦ . هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، الاشبيلي : الفيلسوف المؤرخ ، العالم الاجتماعي ، مولده بتونس سنة ٧٣٢ هـ ، رحل إلى بلاد المغرب والأندلس ، وتولى أعمالاً ، واعترضته دسائس ووشايات ، وتوجه إلى مصر وتولى فيها قضاء المالكية ، وتوفي فجأة في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ . اشتهر بكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومقدمته تعد من أصول علم الاجتماع . انظر ذيل الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، ص ١١٥ ، الضوء اللامع ، السخاوي ٤ / ١٢٩ ، شذرات الذهب ٧ / ٧٦ ، الأعلام ٣ / ٣٣٠ .

٧ . انظر مقدمة ابن خلدون ، ٢ / ٧٤١ .

المبحث الثاني
خصائص الواقع

للواقع الذي نحياه خصائص يتميز بها ، نذكر منها إجمالاً [١] :

١ . قابلية الخطأ ، وعدم العصمة .

إن الواقع ليس معصوماً فيمكن أن يقع فيه ما يخالف الشرائع والعقول ؛ لأنه من أفعال الناس ، وهم معرضون للخطأ والنسيان والإكراه ، كما جاء في الحديث : (كل ابن آدم خطاء) [٢] ، وفي قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [٣] ، ولم تضمن العصمة إلا للأنبياء .

٢ . البشرية .

فالواقع هو عبارة عن تصرفات الخلق وأعمال الناس ، وهم بشر تجري عليهم أحكام البشرية بكل خصائصها وطبائعها ، ولهذا نسب القرآن أفعال البشر إليهم في آيات كثيرة ، قال تعالى : ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [٤] ، وهذا إذا أخرجنا من الواقع ما هو من أفعال الله تعالى وصنعه كوضع السنن الإلهية ، وإيقاع الكوارث العامة ونحو ذلك .

٣ . التنوع والتعدد .

من خصائص الواقع انه متنوع الأشكال ومتعدد الصور ، فواقع الناس في بلد يختلف عنه في بلد آخر ، وواقعهم في زمان يختلف عنه في زمان آخر ، ولا تجد واقعيين متشابهين من كل الجهات ، ففي تنوع الزمان واختلافه يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [٥] ، وجاء في اختلاف الناس في الأفكار والأحوال والتصورات قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [٦] .

أما التنوع بشكل عام ، في الكون والإنسان والحياة ، ففيه يقول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [٧] .

٤ . التغير والتحول .

بمعنى أن الواقع متغير الأطوار ، متحول الأوصاف ، وليس هناك شيء ثابت غالباً كما قالوا : (دوام الحال من المحال) ، فقد يكون الناس في واقع حرب ثم يتحولون إلى واقع أمن وسلام ، وقد يكون واقع الناس الجهل فيتحولون إلى العلم ، وقد يكون واقعهم الفقر فيتحول إلى الغنى ، كما قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [٨] .

---

١ . انظر موقع علماء الشريعة . www.olamaashareah.net ، مقال للدكتور مصطفى بن كرامة مخدوم في فقه الواقع .

٢ . أخرجه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك ، رقم ١٢٩٨٣ ، ١١ / ٧٧ ، وقال محقق المسند : إسناده حسن ، وإتمام الحديث : فخير الخطائين التوابون ، ولو أن لابن آدم واديين من مال لابتغى لهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب .

٣ . سورة البقرة ، آية ٢٨٦ .

٤ . سورة آل عمران ، آية ١٦٥ .

٥ . سورة آل عمران ، آية ١٩٠ .

٦ . سورة هود ، الآيتان ١١٨ ، ١١٩ .

٧ . سورة فاطر ، الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

٨ . سورة آل عمران ، آية ١٤٠ .

ومعرفة هذه الخصائص للواقع تدلنا على أن الواقع في حد ذاته ليس بحجة ، ولا يصلح الاستدلال به في إثبات الحكم أو نفيه ، ولكنه قد يؤثر في الحكم أحياناً ، مثل العرف والعادة كما تناولها الفقهاء في مباحثهم ، ولذلك قيل : والعرف في الشرع له اعتبارُ * لذا عليه الحكم قد يدارُ [١] .

المبحث الثالث

الواقع وواقعية المنهج القرآني .

من أبرز سمات المنهج القرآني أنه واقعي .

والواقعية في مدلولها اللغوي هي التحقق في عالم الواقع [٢] ، فهو نسبة إلى الواقع الذي عليه الإنسان ، والذي عليه الحياة ، والذي عليه الكون كله ، والوجود كله [٣] .

وهي تصور يتعامل مع الحقائق الموضوعية ، ذات الوجود الحقيقي المستيقن ، والأثر الواقعي الإيجابي ، لا مع تصورات عقلية مجردة ، ولا مع مثاليات لا مقابل لها في عالم الواقع ، أو لا وجود لها في عالم الواقع [٤] .

(والواقعية بهذا المعنى ليست نقيضاً للنزعة المثالية المعتدلة في الفلسفة والأخلاق ، فإن هذه النزعة مبنية على فطرة الإنسان وتطلعها إلى الترقي وشوقها إلى المثل الأعلى .

فهي إذن واقعية مثالية ،أو مثالية واقعية. فقد سلمت من إفراط غلاة المثاليين ، ومن تفريط الواقعيين من البشر) [٥].

فالمنهج القرآني ليس نظرية عقلية منشؤها خيال جامح ، ولكنه منهج وثيق الصلة بالواقع البشري ، كما أنه ليس قوالب نظرية سرعان ما تتحطم على أرض الواقع ، وليس مثلاً وجدانياً تدركه الأشواق ، وتقصر دونه الأعمال ، بل هو منهج ينزل إلى ساحة الواقع ويعالج هذا الواقع ، انطلاقاً من طبيعته وظروفه ومعطياته [٦] .

العلاقة بين فقه الواقع وواقعية المنهج القرآني :

القرآن واقعي أي يمكن تطبيقه وتفعيله على أرض الواقع ، فالواقعية إذاً خصيصة من خصائصه ، أما فقه الواقع فهو الإلمام بهذا الواقع فهماً وتفاعلاً وتصحيحاً .

فواقعية القرآن تقتضي النزول إلى الميدان ، وإدراك الزمان والمكان ، أي إسقاط النص الشرعي على الواقع بعد معرفته ، بدراسة واعية وأفق واسع ، بغية تحقيق أكبر قدر لإصلاحه وتغييره في ضوء هذا النص الشرعي .

---

١ . حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، المسماة بحاشية ابن عابدين ، ٣ / ١٤٧ ، ٥ / ٨٨ .

٢ . خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، سيد قطب ص ١٦٩ .

٣ . واقعية المنهج القرآني ، توفيق محمد سبع ص ٢٥ .

٤ . خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، سيد قطب ص ١٦٩ .

٥ . الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ص ١٤٥ .

٦ . انظر منهج القرآن في إصلاح المجتمع ، محمد السيد يوسف ص ٣٩٩ .

مظاهر الواقعية في المنهج القرآني .

تظهر الواقعية واضحة في كل جزء من أجزائه ، في عقيدته وتصوراته ، وفي أحكامه وتشريعاته ، وفي قيمه وأخلاقه، وفي تعبيره وتصويره .

أولاً . واقعية العقيدة والتصور .

نقصد بالواقعية في هذا المجال الوضوح الذهني والتصوري اللذين يفيضهما القرآن على العقل والضمير بالنسبة لمعرفة الله جل وعلا ذاتاً وصفات وأفعالاً (١) .

فالعقيدة الواقعية تصف حقائق قائمة في الوجود لا أوهاماً متخيلة في العقول ، حقائق يقبلها العقل ، وتستريح إليها النفس ، وتستجيب لها الفطرة السليمة (٢) .

١ . لمسات كونية .

من المشاهد الكونية التي ساقها القرآن مساق إبراز القدرة والإرادة والعلم ، والتي تتجلى فيها أفعال الله ناطقة هاتفة بوجوده ، قوله سبحانه وتعالى : ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (٣) .

(فالإله الذي يتعامل معه هذا التصور هو " الله " المتفرد بالإلوهية ، وبكل خصائص الألوهية ، ولكن هذه الخصائص كلها من عالم الواقع ، ذات أثر في عالم الواقع ، ويمكن إدراك آثارها الواقعية :

﴿**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (٤) .

﴿**فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَأُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (٥) .

وهكذا يتعامل التصور الإسلامي مع إله موجود ، يدل خلقه على وجوده " مريد " . " فعال لما يريد " تدل حركة هذا الكون وما يجري فيه على إرادته وقدرته) (٦) .

---

١ . واقعية المنهج القرآني ، توفيق محمد سبع ، ص ٥٣ .

٢ . انظر الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ، ص ١٤٨ .

٣ . واقعية المنهج القرآني ، توفيق سبع ص ٥٨ ، والآية رقم ١٦٤ من سورة البقرة .

٤ . سورة النمل ، الآيات ٦٠ – ٦٤ .

٥ . سورة الشورى ، الآيتان ١١ ، ١٢ .

٦ . انظر خصائص التصور الإسلامي ، سيد قطب ، ص ١٧٠ .

٢ . صفات قدسية .

قال تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) .

إن هذه الصفات التي تضمنتها الآيتان الكريمتان صفات فاعلة في واقع الحياة ، يرى المؤمن عملها رؤية واقعية واضحة في الآفاق والأنفس .

وقد ذكر ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة ، ما معناه : أن نزول آدم من الجنة إلى الأرض إنما كان لأسباب أهمها أن يترجم الله ﷻ عن صفاته العليا ترجمة عملية ، فإن هذه الصفات الإيجابية تستلزم ساحة تتحقق فيها ، وموضوعاً تتعلق به ، فكانت الساحة هي الأرض ، وكان الموضوع هو الإنسان ،وكأنه يعبر بذلك عن واقعية هذه الصفات (٢) .

ولأن عقيدة القرآن واقعية ، نجد أن الله لم يحدثنا عن نفسه إلا بالقدر الذي تدركه عقولنا ، ويكون له آثار واقعية نلمسها في عالم الشهادة ، أما الجوانب الأخرى التي أغفلها الله في حديثه عن ذاته الإلهية فهي أوسع من الكينونة الإنسانية ، ولا تطيقها النفس البشرية ، قال تعالى : ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٣) .

العجز عن درك الإدراك إدراك ** والبحث في كنه ذات الإله إشراك (٤) .

٣ . فطرتنا تجنح إلى الواقعية .

إن عقيدة الإسلام في واقعيتها الطبيعية ، تلائم فطرة الإنسان ، وتعانق أشواقه في سهولة ويسر ، وتأخذ سبيلها إلى القلب دون أي عناء أو جهد ، وذلك ما لم توجد معوقات تحول بين الفطرة وبين تلك العقيدة (٥) .

قال تعالى : ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) .

فالفطرة هي الخِلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى ، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به ، ومنه قول النبي ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تُنتج البهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء (٧)) (٨) .

وهذا الطبع السليم الموصول بالفطرة والجبلة ، التي خلق الله الناس عليها ، يدفع النفس بأن تكون في معية مع ربها ، وفي اتصال روحي دائم بخالقها ، لذلك تصفو تصوراتها عن الله ، وتجنح فطرتها إلى الواقعية .

ثانياً . واقعية التشريع .

ويقصد بها ملائمة التشريع القرآني في كل فروعه لطبيعة الإنسان ، ولطبيعة الحياة ، ولمصلحة الفرد والجماعة ، وأنه مرتبط بالواقع لا يحيد عنه ، ولا يرتفع عليه ، سواء ارتبط بالحلال أو الحرام ، أو بحقوق الإنسان ، أم بالعبادات والمعاملات ، أم بالجنايات – الحدود والقصاص – (٩) .

---

١ . سورة الحشر ، الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .
٢ . واقعية المنهج القرآني ، ص ٥٦ ، نقلا عن مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ص ٤ .
٣ . سورة الأنعام ، آية ١٠٣ .
٤ . ينسب هذا البيت للإمام علي .
٥ . انظر واقعية المنهج القرآني ، توفيق سبع ، ص ٨٢ .
٦ . سورة الروم ، آية ٣٠ .
٧ . من جذر جدع : قطع طرف من أطرافه ، وهي جدعاء . المعجم الوسيط ١ / ١١٠ ، وانظر أساس البلاغة ، الزمخشري ص ٨٤ .
٨ . الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٧ / ٣٥٤ ، والحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة ، فتح البارئ ، كتاب الجنائز ، رقم ١٣٥٩ ، ٣ / ٢٧١ .
٩ . انظر واقعية المنهج القرآني ، توفيق سبع ، ص ٢٤٠ .

أ . واقعية العبادة من حيث أنواعها وأجناسها .

وذلك لاعتبارات مختلفة منها :

١ . باعتبار طبيعتها ، فهناك عبادات بدنية كالصلاة والصيام ، وأخرى مالية كالزكاة والصدقات ، وثالثة جامعة بينهما كالحج والعمرة والجهاد ، ونحو ذلك مما يندرج تحت هذا التصنيف [١] .

٢ . باعتبار زمانها ، فبعضها موقوتة يومياً ، كالصلوات الخمس وأذكار الصبح والمساء ، وبعضها أسبوعية كصلاة الجمعة ، كما أن من العبادات ما هو سنوي موسمي كالزكاة والصيام ، ومنها ما يتجدد موسمه لكنه يجزئ في العمر كله مرة واحدة كالحج والعمرة ، ومنها ما يرتبط وقته بسبب كالجهاد الذي يرتبط وقته باعتداء الكفار على المؤمنين ، وصلاة الاستسقاء المرتبطة بقحط البلاد والعباد ، ومن العبادات ما لا يرتبط بوقت معين وهي أكثرها كطلب العلم ، وتقديم الصدقات التطوعية ، وإيقاع العقود ، ونحو ذلك [٢] .

٣ . (باعتبار مكانها ، فمنها ما يؤدى في مكان واحد لا بعينه كصلاة الجماعة في المسجد ، ومنها ما يؤدى في مكان واحد معين كالحج والعمرة فإنهما يؤديان في المسجد الحرام بمكة المكرمة ، والمشاعر المقدسة ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [٣] ، ومنها ما لا يرتبط بمكان معين وهي أكثرها وأغلبها كالبيع والشراء ، والصوم والزكاة ، والنكاح والطلاق ، ونحو ذلك) [٤] .

ب . واقعية التشريع في المعاملات .

في الجانب الاجتماعي :

لنضرب مثالاً على ذلك ، قضية تعدد الزوجات .

ينظر التشريع الإسلامي إليه نظرة واقعية صرفة ، فقد جاء الإسلام والتعدد موجود في كل الشرائع ، يتجاوزون به الأربعة فقصره عليها ،وجعل له شروطاً ولم يتجاوز به طبيعة النفس البشرية ، وهو يعتبره حالة استثنائية أو ضرورة اجتماعية لها مبرراتها ولها ضماناتها في الوقت نفسه[٥] ، وذلك قوله تعالى : ﴿**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**﴾ [٦] .

وانطلاقاً من هذا الفهم الواقعي للحياة الإنسانية والكونية ، كان تعدد الزوجات يعالج الأمور الآتية :

١ . التفاوت العددي بين الرجال والنساء ، والذي يزداد كلما نشبت الحروب ، فلا مناص من التعدد لحل إشكالية الزيادة في صفوف النساء .

---

١ . انظر الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ص ١٥١ .

٢ . انظر واقعية التشريع الإسلامي وآثارها ، زياد بن صالح لوبانغا ، ١ / ١٤٥ .

٣ . سورة آل عمران ، الآيتان ٩٦ ، ٩٧ .

٤ . انظر واقعية التشريع الإسلامي ، لوبانغا ، ١ / ١٤٧ .

٥ . واقعية المنهج القرآني ، توفيق سبع ، ص ٣٦٤ .

٦ . سورة النساء ، آية ٣ .

٢ . علاج قوة الشهوة الجنسية وثورانها عن الرجل ، مقابل ضعف الاستعداد للعملية الجنسية عند المرأة ، فالمرأة يعتريها المرض بسبب الإثقال والحمل ، والدورة الشهرية ، لذلك فإن جاهزيتها للاتصال تكون أقل ، والبديل في هذه الحالة هو التعدد ؛ لأن الشريعة لا تحرم على الناس الزنا من وجه وتدفعهم إليه من وجه آخر .

٣ . علاج النقص الحاصل في التعداد البشري ، خاصة في نسبة الشباب ، فالزواج شرع لحفظ النوع ، واستدامة التناسل ، وتكوين الأسر البناءة في المجتمع . وطبيعة الرجل وقدرته على الإنجاب في سن متأخر ييسر هذا الهدف ، ويقلل العنوسة ويقضي على آثارها السالبة .

هذه هي نظرية الشريعة في إباحة تعدد الزوجات ، قررتها لدفع الضرر ورفع الحرج ، ولتحقيق المساواة بين النساء ، ولرفع مستوى الأخلاق ، وظاهر من النص الذي قررها أنه نص عام إلى آخر حدود العموم ، مرن إلى آخر حد من المرونة ، واقعي النظرة ، صالحاً لكل زمان ومكان [١] .

في الجانب السياسي .

دلائل واقعية الشريعة في الشورى :

نلمسها في تقرير مبدأ عام للشورى في قوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ [٢] ، ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ [٣] ، وذلك من غير تحديد إطار معين لشكل الشورى ، وتطبيق برامجها وآلياتها في الواقع المحسوس ، وهذا يدل على مرونة الشريعة واستيعابها لاختلاف الأمكنة والجماعات والأوقات .

أما القواعد الأساسية الخاصة بتطبيق مبدأ الشورى ، وتنفيذه وهي قليلة فقد بينت الشريعة أحكامها ولم تتركها لأولياء الأمور ، وهذه القواعد حكمها حكم مبدأ الشورى لا تقبل التعديل ولا التبديل ، ومن هذه القواعد الأساسية أن تكون الأقلية التي يؤخذ برأيها أول من يسارع إلى تنفيذ رأي الأغلبية ، وأن تنفذه بإخلاص باعتباره الرأي الواجب الإتباع ، وأن تدافع عنه كما تدافع عنه الأغلبية ، وليس للأقلية أن تناقش رأياً اجتاز دور المناقشة ، أو تشكك في رأي وضع موضع التنفيذ [٤] .

فمن ذلك استشارة الرسول ﷺ لأصحابه في غزوة أحد ، وأخذه برأي الأغلبية بالرغم من مخالفته لرأيه الخاص ، ولم يرض الرجوع عنه بعد تمام الشورى . ومنه رأي الصحابة في قتال المرتدين بعد وفاته ﷺ .

في الجانب الاقتصادي : تتجلى الواقعية في التوازن والاعتدال بين الملكية الفردية الخاصة ، والملكية الجماعية العامة ، أو بين حق الفرد وحق المجتمع ، فأقرت الشريعة مبدأ الملكية الفردية مراعاة لواقع حب التملك في نفس الإنسان ، وقيدته بواقع آخر هو مصلحة المجتمع وحقوقه ، وحاجات الفئات الضعيفة من أبنائه [٥] .

---

١ . انظر التشريع الجنائي الإسلامي ، عبد القادر عودة ص ٥٤ .

٢ . سورة الشورى ، آية ٣٨ .

٣ . سورة آل عمران ، آية ١٥٩ .

٤ . انظر التشريع الجنائي الإسلامي ، عبد القادر عودة ص ٣٨ .

٥ . انظر الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ص ١٦١ .

(لذلك لم يجُر الاقتصاد الإسلامي على المجتمع – وبخاصة الضعفاء منه – كما جارت الرأسمالية .
ولم يجر على الفرد وحقوقه وحرياته ، كما جارت الاشتراكية .
بل كان عادلاً بينهما ، بلا تفريط ولا إفراط ، ولا طغيان ولا إخسار ، كما قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾) (١) .

وتنظيم الإسلام للملكية يرجع إلى رغبته في تلافي خطورتين (٢) :
الأولى : طغيان المال على نفسية صاحبه واستبداده به : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ (٣) .
الثانية : هي الفقر وآثاره المدمرة فردياً وجماعياً ، ولهذا كان الرسول ﷺ يستعين من الفقر بقوله : (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر) (٤) ، فقرن بين الكفر والفقر وفي هذا ما يكفي خطورته على نفسية المسلم .

يقول سيد قطب في تقرير هذا التوازن : فخلاصة الحقيقة عن الملكية الفردية في الإسلام : أن الأصل هو أن المال للجماعة في عمومها ؛ وأن الملكية الفردية وظيفة ذات شروط وقيود ، وأن بعض المال شائع لا حق لأحد في امتلاكه ، ينتفع به الجميع على وجه المشاركة ، وأن جزءاً منه كذلك حق يرد إلى الجماعة لترده على فئات معينة ، هي في حاجة إليه ، لصلاح حالها وحال الجماعة معها (٥) .

جـ . واقعية التشريع في الحدود والجنايات .
وتتضح هذه الواقعية في مناسبة العقوبة للجريمة .
١ . الأذى الذي يلحق بالمجني عليه .
من واقعية التشريع الإسلامي أنه وضع العقوبة على الجريمة مراعياً الضرر والأذى اللاحق بالشخص المجني عليه ، كإزهاق روحه ، أو قطع طرفه ، أو شج رأسه ، أو نحو ذلك ، وهذه هي قاعدة المثل بالمثل : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ (٦) .

٢ . المساس بالمصالح الضرورية ، فمن واقعية التشريع الإسلامي في الجنايات ، أنه وضع العقوبات على الجرائم بقدر مساسها بالمصالح الضرورية الخمس ، التي جاء الإسلام لحفظها ومراعاتها ، وهي : الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل (٧) .

فالعقوبة فرضت لحماية الجماعة ، وحفظ نظامها ، وتحقيق الأمن لها فهي ضرورة اجتماعية استلزمها وجود الجماعة، وكل ضرورة تقدر بقدرها ، فإذا اقتضت مصلحة الجماعة أن تكون العقوبة قاسية غلظت العقوبة ، وإذا اقتضت مصلحة الجماعة أن تخف العقوبة خففت العقوبة ، وإذا اقتضت مصلحة الجماعة استئصال المجرم استؤصل المجرم منها : إما بقتله أو بحبسه حتى يموت أو ينصلح حاله (٨) .

---

١ . انظر دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، القرضاوي ، ص ٨٣ ، والآيات ٧ – ٩ من سورة الرحمن .
٢ . انظر منهج الإسلام في إقامة العدل الاجتماعي ، أحمد العسال ص ١٤ . ٣ . سورة العلق ، الآيتان ٦ ، ٧ .
٤ . أخرجه أحمد في مسنده عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه ، رقم ٢٠٨٨ ، ١٥ / ٢٠٧ ، وإسناده صحيح ، ومسلم بن أبي بكرة من ثقات التابعين.
٥ . العدالة الاجتماعية في الإسلام ، سيد قطب ، ص ٩٤ .
٦ . انظر واقعية التشريع الإسلامي ، لوبانغا ١ / ٣٨٨ ، والآية ٤٥ من سورة المائدة .
٧ . المصدر السابق ، ١ / ٣٩٢ . ٨ . التشريع الجنائي الإسلامي ، عبد القادر عودة ١ / ٣٨٩ .

٣ . تناسبها مع الجريمة حجماً وقدراً .

فالعقوبات وضعت على قدر الجرائم وحجمها ، إذ هي متفاوتة قوة وضعفاً ، وإفساداً وإضراراً ، فلا يصح أن تكون عقوبة الحرابة – وهي السرقة علناً مع السلاح – ، كعقوبة السرقة العادية – التي تتم سراً وبدون سلاح – كما لا يصح أن تكون عقوبة القتل العمد ، كعقوبة القتل الخطأ [١] .

د . واقعية التشريع في التحليل والحريم [٢] .

فمن مظاهر هذه الواقعية في مجال الحلال والحرام – وهو ما يتعلق غالباً بشئون الفرد ، رجلاً أو امرأة :

١ . أن شريعة الإسلام لم تحرم شيئاً يحتاج إليه الإنسان في واقع حياته ، كما لم تبح له شيئاً يضره في الواقع .

ومن ثم أنكر القرآن تحريم الزينة والطيبات ، معلنا إباحتها لبني الإنسان جميعاً بشرط الاعتدال ، وعدم الإسراف في استعمالها : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾ [٣] .

٢ . وراعت الشريعة فطرة البشر في الميل إلى اللهو والترويح عن النفس ، فرخصت في أنواع من اللهو كالسباق والعاب الفروسية وغيرها ، إذا لم تقترن بقمار ولا بحرام ، ولم تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وخصوصاً في المناسبات السارة كالأعراس والأعياد . وقد غنت جاريتان عند عائشة[٤] ، في بيت النبي ﷺ فانتهرهما أبو بكر[٥]، فقال النبي دعهما) [٦] ، وقال يومئذ : (لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة ، إني أرسلت بحنيفية سمحة)[٧] ، وأذن للحبشة أن يلعبوا في مسجده بالحراب ، وسمح لزوجه عائشة أن تنظر إليهم حتى اكتفت .

٣ . ومن واقعية التشريع : أنها قدرت الضرورات – التي تعرض للإنسان وتضغط عليه – حق قدرها ، فرخصت في تناول المحرمات على قدر ما توجب الضرورة . وقرر فقهاء الشريعة أن الضرورات تبيح المحضورات ، استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [٨] .

---

١ . واقعية التشريع الإسلامي ، لوبانغا ١ / ٣٩٧ .

٢ . انظر الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ص ١٥٧ .

٣ . سورة الأعراف ، الآيتان ٣١ ، ٣٢ .

٤ . هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، أفقه نساء المسلمين ، وأعلمهن بالأدب والدين ، تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة . لها مواقف وخطب ، وكانت تنشد الشعر ، وعالمة بالفرائض ، ولها في وقعة الجمل موقفها المعروف ، توفيت سنة ٥٨ هـ ، ولها في كتب الحديث ٢٢١٠ حديثاً . انظر الطبقات الكبرى ٨ / ٤٦ ، صفة الصفوة ١ / ٩ ، أسد الغابة ٧ / ١٨٦ ، الأعلام ٣ / ٢٤٠ .

٥ . هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر ، صاحب رسول الله ورفيقه : أول الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال ، ولد بمكة ، وكان عالما بأنساب القبائل وأخبارها ، شهد الحروب واحتمل الشدائد ، وبذل الأموال ، وبويع بالخلافة بعد وفاة النبي ﷺ ، فحارب المرتدين ، وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق ، كان موصوفا بالحلم خطيبا شجاعا ، توفي سنة ١٣ هـ ، وله في كتب الحديث ١٤٢ حديثاً . انظر الطبقات الكبرى ٣ / ١٢٥ ، صفة الصفوة ١ / ١٢٣ ، أسد الغابة ٦ / ٣٤ ، الأعلام ٤ / ١٠٢ .

٦ . متفق عليه ، اللؤلؤ والمرجان ، رقم ٥١٣ ، ص ١٥٠ ، وفي رواية : يا أبا بكر إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا .

٧ . أخرجه أحمد في مسنده عن عائشة ، رقم ٢٤٧٣٦ ، ١٧ / ٤٤٧ ، وقال محقق المسند : إسناده صحيح .

٨ . سورة البقرة ، آية ١٧٣ .

٤ . ومن واقعية الشريعة أنها عرفت ضعف الإنسان أمام كثير من المحرمات ، فسدت الباب إليها بالكلية ، ولهذا حرمت قليلها وكثيرها ، كما في الخمر ؛ لأن القليل يجر إلى الكثير ، كما أنها عدّت ما يوصل إلى الحرام حراماً ، سداً للذريعة ، وإقراراً بواقع الكثير من البشر ، ومن هنا كان تحريم الخلوة بالأجنبية ومثلها النظر بشهوة إلى الجنس الآخر .

هـ . واقعية التشريع في تقرير حقوق الإنسان .

إن حماية إنسانية الإنسان هو مقصد الشريعة وغايتها ، ذلك أن الشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد في معاشهم ومعادهم ، وأن مصالحهم لا تتحقق إلا بحماية الكليات الخمس (الضروريات الخمس) ، وهي حقوق الإنسان الأساسية التي لا تتحقق إنسانيته ، وتحفظ كرامته إلا بتوفيرها وحمايتها ، كحق الحياة ، وحق حرية التدين والاختيار ، وحق التملك ، وحق بناء الحياة الاجتماعية والنسل ، وحق التفكير والتعبير [١] .

لذلك فإن تقرير هذه الحقوق يعتبر مؤشر حقيقي على واقعية التشريع في المنهج القرآني ، الذي راعى واقع الإنسان ، وحقوقه التي يتطلبها لكي يحيا مكرماً في دنيا الناس .

ويمكن إجمال حقوق الإنسان الأساسية في النقاط الآتية :

حق الحياة .

حياة الإنسان مقدسة ، لا يجوز لأحد أن يعتدي عليها : ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ [٢] ، كما قرر القرآن مؤكداً ما جاء في الكتب الأخرى : ﴿**أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**﴾ [٣] .

حق حرية التدين .

حق الإنسان في حرية الاعتقاد والعبادة قرره القرآن بقوله : ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [٤] ، وقوله : ﴿**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [٥] ، وبقوله : ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [٦] .

حق التملك .

١ . لكل إنسان الحق في أن يعمل وينتج ، تحصيلاً للرزق من وجوهه المشروعة : ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [٧] ، ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [٨] .

٢ . ومن حق كل إنسان أن يتمتع بثمرة ما كسبه من حلال ، عن طريق التملك ، رجلاً كان أو امرأة : ﴿**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ**﴾ [٩] ، ولا يجوز لأحد العدوان على شيء مملوك للغير ملكية مشروعة :﴿ **لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**﴾ [١٠] .

---

١ . انظر النظرية السياسية في حقوق الإنسان الشرعية ، د/ محمد أحمد مفتي ، د / سامي صالح الوكيل ، ص ١٥ .

٢ . سورة الأنعام ، آية ١٥١ ، وسورة الإسراء ، آية ٣٣ .

٣ . البيان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام ، من كتاب في النظام السياسي ، د / محمد سليم العوا ، ص ٣٠٣ ، والآية ٣٢ من سورة المائدة .

٤ . سورة البقرة ، آية ٢٥٦ . ٥ . سورة يونس ، آية ٩٩ .

٦ . انظر كيف نتعامل مع القرآن ، القرضاوي ص ٨٠ ، الآية رقم ٦ من سورة الكافرون .

٧ . سورة هود،آية ٦ . ٨ . النظام السياسي، محمد العوا ص٣٢٤ نقلا عن البيان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام ، والآية١٥ من سورة الملك .

٩ . سورة النساء ، آية ٣٢ . ١٠ . كيف نتعامل مع القرآن ، القرضاوي ص ٨١ ، والآية رقم ٢٩ من سورة النساء .

حق بناء الحياة الاجتماعية والنسل .

١ . حق الإنسان في الزواج وتكوين الأسرة ، رجلاً كان أو امرأة : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

٢ . وحق الإنسان – بعد الزواج – في الإنجاب : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ (٢) .

٣ . وحق الطفولة في التربية والتعليم والتأديب ، قال تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ (٣) .

٤ . وحق الإنسان في صيانة عرضه وكرامته ، قرره بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ (٤) .

حق التفكير والتعبير .

١ . التفكير الحر – بحثاً عن الحق – ليس مجرد حق فحسب ، بل هو واجب كذلك ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (٥) ، وقوله : ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٦) .

٢ . حق الإنسان في مناقشة أولي الأمر ومخالفة رأيهم ، والاحتكام إلى الله ورسوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (٧) .

٣ . ومن حق كل فرد ومن واجبه : أن يعلن رفضه للظلم ، وإنكاره له ، وأن يقاومه ، دون تهيب من مواجهة سلطة متعسفة ، أو حاكم جائر ، أو نظام طاغٍ .. وهذا أفضل أنواع الجهاد : (سئل رسول الله ﷺ : أي الجهاد أفضل ؟ قال : كلمة حق عند سلطان جائر) (٨) .

٤ . لا حظر على نشر المعلومات والحقائق الصحيحة ، إلا ما يكون في نشره خطر على أمن المجتمع والدولة : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٩) .

---

١ . كيف نتعامل مع القرآن ، القرضاوي ص ٨٠ ، والآية رقم ٢١ من سورة الروم .

٢ . المصدر السابق ، ص ٨٠ ، والآية ٧٢ من سورة النحل .

٣ . سورة الإسراء ، آية ٢٤ .

٤ . كيف نتعامل مع القرآن ، القرضاوي ص ٨١ ، والآية رقم ١١ من سورة الحجرات .

٥ . سورة سبأ ، آية ٤٦ .

٦ . انظر النظام السياسي في الإسلام ، محمد سليم العوا ، ص ٣٢١ ، والآية ١٠١ من سورة يونس

٧ . كيف نتعامل مع القرآن ، القرضاوي ص ٨٢ ، والآية ٥٩ من سورة النساء .

٨ . البيان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام ، من كتاب النظام السياسي في الإسلام ، د / محمد سليم العوا ص ٣٢٢ ، والحديث أخرجه أحمد في مسنده عن طارق بن شهاب أن رجلا سأل النبي ﷺ أي الجهاد أفضل ، ورقم الحديث ١٨٧٣٢ ، ١٤ / ٢٧٩ ، وقال المحقق : إسناده صحيح .

٩ . المصدر السابق ، ص ٣٢٢ ، والآية رقم ٨٣ من سورة النساء .

ثالثاً . واقعيـة الأخـلاق .

الأخـلاق هـي أوصـاف الإنسـان التـي يعامـل بهـا غيـره ، وهـي فطريـة ومكتسـبة ، ومحمـودة ومذمومـة ، فـالمحمود علـى الإجمـال : أن تكـون مـع غيـرك علـى نفسـك ، فتنصـف منهـا ، ولا تنصـف لهـا ، وعلـى التفضـيل : العفـو والحلـم والجـود والصبر ، وتحمل الأذى ، والرحمة ، والشفقة ، وقضاء الحوائج ، والتواد ولين الجانب ، ونحو ذلك ، والمذموم منها ضد ذلك [١] .

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، هكذا أعلن رسول الله ﷺ في تواضع أن رسالته كلها جاءت من أجل التتميم والتكميل ، من أجل هدف أساسي واحد هو تميم مكارم الأخلاق وتصحيح العقائد ، يتبعه أهداف ثانوية أخرى .

وقال تعالى : في وصف خلق نبيه : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [٢] ، ونقلت السيدة عائشة – رضي الله عنها – هذه السمة بقولها : (كان خلقه القرآن) [٣] ، وهنا إشارة إلى أنه ﷺ كان خلقه يتمثل في القرآن بشموله وواقعيته ، وسهولة ترجمة أحكامه وتوجيهاته في ساحة الدعوة وواقع الحياة ، ومن ثم كانت الأخلاق الإسلامية واقعية المصدر والمضمون ، وواقعية في حركتها وطريقة عملها .

١ . ارتباط العبادات والشعائر بالأخلاق .

فالعبادات لها صلة وثيقة بالأخلاق ، وما يترتب عليها من ثمار واقعية ، وتوفيق الإنسان في عباداته مرهون على ما تحدثه في نفسه وسلوكه من ترقٍ في الأخلاق ، وتزكية في القيم ، ففي الصلاة يقول سبحانه : ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾ [٤] ، وفي الزكاة قوله تعالى : ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾ [٥] ، وفي الصيام يقول الله عز وجل : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [٦] ، وفي الحج : ﴿**فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ [٧] ، وقوله تعالى : ﴿**وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ** ﴾ [٨] .

٢ . القرآن منهج واقعي في عرض أخلاقه مقترنة بآثارها العملية .

(إن القرآن لا يحدثنا عن أخلاق نظرية ، بل عن أخلاق عملية تمثلت في أشخاص ، وتحركت في نماذج ليكون العرض واقعياً ، والتأثير إيجابياً ، والقدرة أعظم والدرس أبلغ وأنفع .

إنه يربطنا بالصادقين لا بالصدق المجرد ... وبالأمناء والأعفاء والحافظين لحرمات الله : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [٩] ، ويقول سبحانه : ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [١٠] .

هذه أخلاقيات القرآن في صورتها الإيجابية تتمثل في نماذجها ، وتتحرك في أشخاصها ، وكذلك في صورتها السلبية تنفيراً منها ، وتحذيراً من نتائجها : ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[١١] ،﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً** ﴾ [١٢] .

---

١ . انظر فتح الباري ، العسقلاني نقلاً عن القرطبي صحاب كتاب المفهم ، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق والسخاء ، ١٠/ ٥٥٠ .

٢ . سورة القلم ، آية ٤ . ٣ . أخرجه أحمد في مسنده ، رقم ٢٥١٧٨ ، ١٧ / ٥٦٤ ، وإسناده صحيح . ٤ . سورة العنكبوت ، آية ٤٥ .

٥ . سورة التوبة ، آية ١٠٣ . ٦ . سورة البقرة ، آية ١٨٣ .

٧ . سورة البقرة ، آية ١٩٧ . ٨ . سورة الحج ، آية ٣٧ .

٩ . سورة التوبة ، آية ١١٩ . ١٠ . واقعية المنهج القرآني ، توفيق سبع ص ٣٨٨ ، والآية ٣٣ من سورة الزمر .

١١ . سورة آل عمران ، آية ١٠٥ . ١٢ . واقعية المنهج القرآني ، توفيق سبع ص ٣٨٩ ، والآية ٦٩ من سورة الأحزاب

٣ . من واقعية الأخلاق الإسلامية : أنها أقرت التفاوت الفطري والعملي بين الناس ، فليس كل الناس في درجة واحدة من حيث قوة الإيمان ، والالتزام بما أمر به من أوامر ، والانتهاء عما نهى عنه من نواه .

فهناك مرتبة الإسلام ، ومرتبة الإيمان ، ومرتبة الإحسان ، وهناك الظالم لنفسه ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات ، وإلى هؤلاء يشير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (١) .

٤ . ومما يكمل هذا المعنى : أن الأخلاق الإسلامية لم تفترض في أهل التقوى أن يكونوا براء من كل عيب ، معصومين من كل ذنب ، كأنما هم ملائكة أولو أجنحة ، بل قدرت أن الإنسان مكون من طين وروح ، فإذا كانت الروح تعلو به تارة ، فإن الطين يهبط به طوراً . ومزية المتقين إنما هي في التوبة والرجوع إلى الله ،كما وصفهم بقوله : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢) .

٥ . واقعية الأخلاق في مجال التربية .

يعتمد القرآن في مجال التربية الأخلاقية على تنشئة الضمير الذي يراقب الله ، ويجاوز معصيته ، وهذا الضمير هو النفس اللوامة التي أقسم بها ربنا حيث قال : ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (٣) ، ووظيفتها حراسة الإنسان من داخله ، فإذا نجحت تلك النفس في مهمة الضبط والربط فقد نجحت في إزالة الصراع من داخل الإنسان ، وأسكتت صوت الشهوة ، وبذلك يسود السلام النفسي داخل كيان الإنسان ، وتصبح نفسه راضية مطمئنة : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٤) .

٦ . ومن واقعية الأخلاق الإسلامية : أنها راعت الظروف الاستثنائية كالحرب ، فأباحت من أجلها ما لا يباح في ظروف السلم ، كهدم المباني أو تحريق الأشجار ونحوها ، ومثل ذلك الكذب لتضليل العدو عن حقيقة أوضاع الجيش الإسلامي وعدده وعتاده وخططه فإن الحرب – كما في الحديث – خدعة (٥) .

رابعاً . واقعية التعبير والتصوير القرآني .

١ . واقعية التعبير .

يقصد بها أن هذا الكتاب الخالد بألفاظه المفردة وتراكيبه المطردة واقعي بالنسبة إلى العربي أولاً ثم بالنسبة إلى الإنسانية كلها بعد ذلك (٦) .

نموذج لهذه الواقعية :

اقرأ مثلا سورة (والعاديات ضبحاً) ، واستحضر كل ألفاظها ومعانيها .. فسترى ألفاظاً مستعملة في معانيها الوضعية مطابقة في الدلالة لتلك المعاني لا تعدوها ولا تتجاوزها ، وستحس بحركة واضحة عنيفة هي حركة الخيل في ميدان المعركة وهذه الحركة ناشئة من إيحاء الألفاظ (العاديات ضبحا . المغيرات . أثرن به نقعا) الخيل تعدو .

---

١ . انظر الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ص ١٥٣ ، والآية ٣٢ من سورة فاطر .

٢ . المصدر السابق ، ص ١٥٤ ، والآية رقم ١٣٥ من سورة آل عمران .

٣ . سورة القيامة ، الآيتان ١ ، ٢ . ٤ . واقعية المنهج القرآني ، توفيق سبع ص ٤٠٠ ، والآيات ٢٧ – ٣٠ من سورة الفجر .

٥ . الخصائص العامة للإسلام ، ص ١٥٤ ، والحديث أخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله، فتح البارئ ، كتاب الجهاد ، رقم ٣٠٣٠ ، ١٩٢/٦ .

٦ . واقعية المنهج القرآني ، توفيق سبع ص ٤٣٠ .

وأنفاسها تضطرب ، وإنها لتندفع في الغارة على العدو . وتجري على أرض المعركة .. فتثير غباراً في الجو .. وهكذا .. وإنك لترى الألفاظ تتآخى وتتعانق ، وتترابط وتتوافق ، فتعطي بناء صياغيا محكما وإيجازا بليغا موحيا ، يشخص المعركة ، ويصور المشهد ، ويستحضر الحركة والعدو !! ثم تحس من خلال الإيقاع بموسيقى عنيفة هي موسيقى المعركة ، أليست واقعية ؟! فالصورة الكلية مطابقة لواقع المعركة ، والألفاظ ملائمة لذلك الجو منتزعة منه ، وكل كلمة تؤدي دورها في تجلية المشهد ، إنها واقعية حية متحركة !! [١] .

٢ . واقعية التصوير

هي القدرة على رسم نموذج أو استحضار مشهد غيبي أو تاريخي ، أو تحريك لساكن ، أو تشخيص لجماد أو استنطاق صامت ، بألوان التصوير البلاغي من استعارة أو تشبيه أو كناية أو مجاز ، وهذه الواقعية ترتبط بذهن العربي وخياله وبالبيئة التي يعيش واقعها ، وكل ذلك يتآزر ليعطي الإيحاء المطلوب ، والدلالة الرائعة [٢] .

نموذج لهذه الواقعية :

قوله سبحانه : ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [٣] .

إنه يريد تصوير حال الهالكين ممن تصدوا لهدم الكعبة مع أبرهة الأشرم بعد أن حصبهم الطير بحجارة من سجيل !! لقد هلكوا جميعاً ، ولكن هذا لا يكفي فهم كعصف مأكول ، كزرع أكله الجراد ، أي صار أحطاباً جافة جرداء لا ورق عليها ولا زهر ولا غصون !! وتصور أنت منظر ذلك الزرع الذي أكلت أوراقه وسيقانه وصار حطباً جافاً أجرد أو حطاماً تذره الريح ، إنها صورة مؤثرة وموحية حقا ، وهي معروفة للعربي يراها وينظر إليها !! إنها واقعية أيضاً تصور التمزيق البدني في أبشع صوره وأوجع مظاهره !! [٤] .

---

١ . واقعية المنهج القرآني ، توفيق محمد سبع ، ص ٤٣٧ .

٢ . انظر المصدر السابق ، ص ٤٣٩ .

٣ . سورة الفيل ، آية ٥ .

٤ . واقعية المنهج القرآني ، توفيق سبع ، ص ٤٤١ .

المبحث الرابع
خصائص فقه الواقع ومقوماته

أولاً . خصائص فقه الواقع .

وهي خصائص يذكرها العلماء من ضمن الخصائص العامة للإسلام ، وأحياناً يخصونها للفقه الإسلامي ، وهنا نخصها لفقه الواقع ، الذي يكمل فقه النص من جهة تنزيله وإعماله في الواقع الملموس .

١ . فقه إلهي رباني .

الربانية : معناها الانتساب إلى الرب أي الله ﷻ ، ويطلق على الإنسان أنه رباني إذا كان وثيق الصلة بالله عالماً بدينه وكتابه ، معلماً له ، قال تعالى : ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (١) .

إن الإسلام منهج رباني مائة في المائة ، في عقائده وعباداته ، وآدابه وأخلاقه ، وشرائعه ونظمه ، كلها ربانية إلهية ، أعني في أسسها الكلية ومبادئها العامة لا في التفريعات والتفصيلات والكيفيات (٢) .

لذلك فإن فقه الواقع إلهي رباني ؛ لأنه أصيل في مرجعية الكتاب والسنة ، قال تعالى في وجوب قراءة الواقع : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٣) ، وقال تعالى في وجوب النفرة للعلم ، والتفقه في الدين ، والإحاطة بالواقع : ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٤) .

ولأن الكون وما يحتويه يخضع للقانون الإلهي : ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (٥) أي : (هو المالك لجميع الأمور الفاعل لما يشاء منها ، وهذا يشمل الأمر القدري والأمر الشرعي فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره) (٦) .

قال ابن سُرَيج (٧) : ليس شيء إلا ولله عز وجل فيه حكم ؛ لأنه تعالى قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ (٨) ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾(٩) ، وليس في الدنيا شيء يخلو من إطلاق أو حظر أو إيجاب ؛ لأن جميع ما على الأرض من مطعم أو مشرب أو ملبس أو منكح ، أو حكم بين متشاجرين أو غيره لا يخلو من حكم، ويستحيل في العقول غير ذلك (١٠) .

ولأن فقه النص الشرعي لا يمكن تفعيله وتحريكه في الواقع إلا بفقه الواقع وأدواته ، إذ أن فقه الواقع ما هو إلا : (معرفة حكم الله سبحانه في كتابه وسنة رسوله ﷺ وتطبيق ذلك على الوقائع الحاضرة والمسائل المعاصرة، والعالم الحق هو الذي يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله) (١١) .

---

١ . انظر الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ص ٧ ، والآية رقم ٧٩ من سورة آل عمران .

٢ . المصدر السابق ، ص ٣٥ . ٣ . سورة العلق ، الآيات ١ – ٥ .

٤ . سورة التوبة ، آية ١٢٢ . ٥ . سورة آل عمران ، آية ١٥٤ .

٦ . انظر تفسير القرطبي ٥ / ٢٨٨ ، وتيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١٣٧ .

٧ . هو أحمد بن عمر بن سُريج البغدادي : فقيه الشافعية في عصره ، مولده في بغداد ووفاته بها سنة ٣٠٦ هـ ، كان يلقب بالباز الأشهب ، وولي القضاء بشيراز ، وقيل هو على رأس المائة الثالثة ؛ لأنه نصر السنة وخذل البدع . له نحو ٤٠٠ مصنف ، منها : الأقسام والخصال ، الودائع لمنصوص الشرائع . انظر طبقات الشافعية،١ / ٩٠ ، تاريخ بغداد ٥ / ٤٣ ، وفيات الأعيان ١ / ٨٩ ، شذرات الذهب٢/٢٤٧،الأعلام ١ / ١٨٥ .

٨ . سورة النساء ، آية ٨٦ . ٩ . سورة النساء ، آية ٨٥ ، ومقيتا معناه : مقتدراً ، انظر تفسير القرطبي ، ٣ / ٢٥٩ .

١٠ . البحر المحيط في أصول الفقه ، الزركشي ، ١ / ١٦٥ . ١١ . فقه الواقع بين النظرية والتطبيق ، علي الحلبي الأثري ، ص ٨٦ .

ولأن فقه الواقع ينضبط بشروط الشرع وحدوده ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١) .

٢ . فقه إنساني .

إنساني بمعنى أن محور ارتكازه هو الإنسان .

فالإنسان هو الذي خلق الله من أجله واقع الكون والحياة ، وسخر له ما في السموات والأرض ، واستخلفه في الأرض ليكون سيداً لكل الخلائق ، ولكي يبدع ويعمّر ويطور وفق منهج الله ونظامه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢) ، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣) .

وهو الذي يعيش هذا الواقع ويكدح فيه : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾ (٤) .

وهو الذي يفهمه ويفسره ويحلله ، بما يملك من طاقات عقلية ومواهب فكرية : ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥) ، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٦) .

وهو الذي يزنه بميزان الشرع ، ويصلحه بمنهج الله : ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٧) ، ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (٨) .

٣ . فقه شامل متكامل .

(إنه شمول يستوعب الزمن كله ، ويستوعب الحياة كلها ، ويستوعب كيان الإنسان كله .

لقد عبر الإمام الشهيد حسن البنا عن أبعاد هذا الشمول في رسالة الإسلام فقال وأجاد :

إنها الرسالة التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن ..

وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم ..

وامتدت عمقاً حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة) (٩) .

إن الإسلام منهج متكامل الجوانب ، شامل النظرة ، فيه تنظيم علاقة الفرد بنفسه ، وعلاقته بأسرته ، وعلاقته بمجتمعه ، وعلاقة مجتمعه به ، وفيه بيان للأصول والقواعد التي تقوم عليها النظم والقوانين التي تحكم سير المجتمع والناس ، وفق نظرة الإسلام للكون والإنسان والحياة (١٠) .

---

١ . سورة الأنعام ، آية ١٦٢ .
٢ . سورة البقرة ، آية ٣٠ .
٣ . سورة الجاثية ، آية ١٣ .
٤ . سورة الانشقاق ، آية ٦ .
٥ . سورة الأعراف ، آية ١٨٥ .
٦ . سورة آل عمران ، الآيتان ١٩٠ ، ١٩١ .
٧ . سورة الأنعام ، آية ٤٨ .
٨ . سورة النساء ، آية ١٢٩ .
٩ . الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ص ٩٥ .
١٠ . فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين للإمام حسن البنا ، جمعة أمين ، نقلاً عن الإسلام فكرة وحركة ، فتحي يكن ، ص ١٧ .

قال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

حكى ابن كثير عن ابن مسعود ﷺ قال في هذه الآية : قد بين الله لنا في هذا القرآن كل علم ، وكل شيء ، وقال مجاهد : كل حلال وكل حرام (٢) .

ولقد عبّر عن هذا المعنى السابق أبوبكر الصديق ﷺ بعبارته المشهورة الرائعة التي قال فيها : (لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله) (٣) .

الشمول – كما أسلفنا – نعني به شمول الزمان والمكان والإنسان ، وهو في الواقع يضم خصائص ثلاثاً هي : الخلود ، والعالمية ، والاستيعاب .

فقه يشمل الزمن كله – البعد الزماني– .

إنه فقه يتطلبه أي زمان ، ويرافق كل الأجيال ، لكي تواكب عصرها ، وترتبط بالمستقبل المديد ، والماضي البعيد ، فنحن نستلهم الماضي ونعايش الحاضر ونعد للمستقبل ، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤) ، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٥) .

فقه يشمل العالم – البعد المكاني – .

فهو يحيط بكل الأمم ، وكل الأجناس ، وكل الشعوب ، وكل الطبقات ؛ لأنه يعنى بالواقع المحلي والإقليمي والعالمي ، فهو يتخطى كل الآفاق ، وينفتح على كل الثقافات ، فهو لا ينحصر في إقليم معين ، أو إطار محدد ، وهذا يؤول إلى خصيصة هذا الدين ، وهذه الشريعة ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٦) ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٧) .

فقه يشمل الإنسان كله – البعد الإنساني –

إنه فهم يوجب المعرفة بالواقع الإنساني – بهذا الإنسان كله – : روحه وعقله وجسمه ، وضميره ، وإرادته ، ووجدانه ، وأفكاره وعواطفه .

وفي كل مراحل وأطوار حياته ، من المهد إلى اللحد ، إنه يصحبه طفلاً ، ويافعاً ، وشاباً ، وكهلاً وشيخاً ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٨) .

---

١ . سورة النحل ، آية ٨٩ . ٢ . تفسير ابن كثير ، ٤ / ٦٣ .

٣ . هذه العبارة تنسب أيضاً لابن عباس ، انظر الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ٢ / ٢٦ .

٤ . سورة آل عمران ، آية ١٣٧ . ٥ . سورة لقمان ، آية ٣٤ .

٦ . سورة الأنبياء ، آية ١٠٧ . ٧ . سورة ص ، آية ٨٧ .

٨ . سورة غافر ، آية ٦٧ .

فقه يشمل الحياة كلها – البعد الميداني – .

فهو يستوعب كل مناحي الحياة المختلفة ، وميادين النشاط البشري المتعددة : السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، قال تعالى : ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾ (١) .

يقول صاحب الظلال : لقد نزل هذا الكتاب ليحكم بالعدل بين الناس فيما اختلفوا فيه ، ولتتمثل فيه حاكمية الله وألوهيته . ثم لقد نزل هذا الكتاب مفصلاً ، محتوياً على المبادئ الأساسية التي يقوم عليها نظام الحياة جملة . كما أنه تضمن أحكاماً تفصيلية في المسائل التي يريد الله تثبيتها في المجتمع الإنساني مهما اختلفت مستوياته الاقتصادية والعلمية والواقعية .. وبهذا وذلك كان هذا الكتاب غناء عن تحكيم غير الله في أي شأن من شؤون الحياة (٢) .

وهذا التكامل يقوم على أن الحياة كتلة واحدة ، لا تقبل الانقسام والتفريق ، إلا في الورق أو الرؤوس ، أما في الواقع فالحياة كل لا يتجزأ ، ولا ينفصل فيه دين عن دولة ، ولا اقتصاد عن أخلاق ، ولا سياسة عن تربية ، ولا فرد عن أسرة ، ولا أسرة عن مجتمع (٣) .

٤ . فقه تراكمي .

يمكن القول بأن الحياة الإنسانية تتجدد وتنمو ويضطرد تقدمها عن طريق نقل التراث الحضاري من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة ، ويقوم كل جيل إنساني بالإضافة إليه ، والحذف منه والتغيير فيه ، والتصحيح والتطوير ، ونظرة إلى الحياة الإنسانية التي يعيشها الإنسان في الوقت الحاضر تعطينا فكرة واضحة عن التراث الحضاري المتراكم الذي نستمتع به ، والذي انتقل إلينا عبر الآلف السنين من جيل إلى جيل (٤) .

إن فقه الواقع لا يبتدئ من الصفر ، ولا ينطلق من فراغ بل يستفيد من التجارب البشرية عبر العصور والأحقاب ، ويضيف ويحذف ويصوب ، ويبنى فوق البنيان السابق له .

ففقه الواقع التاريخي ينبني على حلقات متواصلة من الأحداث التاريخية على المستوى الرأسي والأفقي ، تصنعها اليد الإنسانية الفاعلة في الحياة ، والمتحركة وفق إرادة الله ، قال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٥) .

وفي فقه الواقع العلمي يقول الله تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (٦) ، والآية تشير إلى دعوة الإنسان ربه أن يلهمه العلم ، ويبصره بحقائق المعرفة ، وفيها دلالة على تطور منابع العلم ، وتجدد روافده عبر السنين والأيام ، مما يؤدي إلى تراكم العلوم وتنوعها .

وفيها حث الإنسان على اكتناه الحقائق العلمية التي يكشفها الله لعباده بين الحين والآخر ، كما قال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (٧) .

وفي قول الرسول ﷺ : (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) (٨) إشارة إلى الإضافة بدل الحذف ، وإلى التتميم والتكميل الذي يدل على التراكمية .

---

١ . سورة الأنعام ، آية ١١٤ . ٢ . في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٣ / ١١٩٤ . ٣. انظر الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ، ص ١٠٢ .

٤ . أصول التربية الإسلامية ، سعيد إسماعيل ، ص ٤٢ ، نقلاً عن الديمقراطية والتربية ، جون ديوي ، ترجمة منى عقراوي ، وزكريا مخائيل ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٤٤ . ٥ . سورة غافر ، آية ٨٢ . ٦ . سورة طه ، آية ١١٤ . ٧ . سورة فصلت ، آية ٥٣ . ٨ . مسلم ، الفضائل ، رقم٢٢٨٦.

٥ . **فقه حركي** .

من المعلوم أن الواقع يتكون من ظروف ومواقف متغيرة ومتنوعة ، وقضايا متحركة ومتجددة ، تجعل من طبيعته وسمته أنه واقع ديناميكي يدور مع فلك الأحداث ، ومتداول ومتطور مع شؤون الناس ، ومقتضيات الحياة .

وهذه الصفة المتحركة هي التي تجعل كل معطيات الواقع ومكوناته تتحرك وتتفاعل في إطاره من خلال وعائه ، فحركية الواقع ، تشمل حركة الزمان والمكان والإنسان ... [١] .

وفقه الواقع – في أحد ميدانيه – يعنى بدراسة وتشخيص ، وتحليل وتفسير الظواهر المجتمعية في سياقاتها التاريخية لمجتمعات متحولة متحركة ، ولذلك لا يمكن فهم فقه الواقع إلا إذا وضعناه في سياق التحول لا الثبات ، التغير لا السكون ، التطور لا الجمود ، التحديث لا التقليد [٢] .

إذن فقه الواقع هو فقه حركي بمعنى أنه يعالج القضايا الحركية التي تتحرك في الواقع وتتطور به ، وهي من طبيعة الحياة التي نحياها ، قال الشاعر [٣] :

قلت الحياة هي التحرك * لا السكون ولا الهمود .
وهي التفاعل والتطور * لا التحجر والجمود .
وهي الجهاد وهل يجا * هد من تعلق بالقعود .
وهي التلذذ بالمتاعب * لا التلذذ بالرقود .
هي أن تعيش خليفة * في الأرض شأنك أن تسود .
هذى الحياة وشأنها * من عهد آدم والجدود .
فإذا ركنت إلى السكون * فلذ بسكان اللحود .

وهذه القضايا غالباً ما تكون أحداث الساعة الساخنة في الساحة الإسلامية ، مثل أمور الجهاد ، وسياسات الدول ، وهموم الأمة الأخرى .

فالجهاد المعاصر يلزمه فقه واقعي حركي ، يحيط ببعض الجوانب ، منها : تأصيل مسألة الجهاد ومشروعيتها ، أخلاقيات الحرب ، العمليات الميدانية وتدريباتها ، دراسة البيئة والظروف المحيطة بها ، العمليات الاستشهادية وضرورتها ، قضية الترس المسلم ، مفهوم دار الحرب ودار الإسلام ، تحديد الضابط بين العسكري والمدني ، ... الخ .

وسياسات الدول تتطلب من الواقفين عليها ، والمتابعين لها ، تحرك يلم بتفاصيلها ودهاليزها ، حتى تنضج الأمة ، ويتحقق لها النصر والسؤدد ، وتقيم دولتها الراشدة في حذر وانتباهة من عدوها : ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾ [٤] .

---

١ . انظر الدور القيادي الإسلامي ، بدرية إبراهيم أسد ، عائشة عبد الله جاسم ، ص ٥ .

٢ . من مقال بعنوان نحو رؤية منهجية في فقه الواقع ، أنور أبو طه ، مجلة الملتقى الفكري على الشبكة العنكبوتية .

٣ . من ديوان نفحات ولفحات ، د / يوسف القرضاوي ، ص ٧٢ .

٤ . سورة المائدة ، آية ٤٩ .

٦ . **فقه وسطي متوازن .**

التوازن هو معادلة الطبيعة التي بنى الله الكون عليها ، ولا تستقر الحياة إلا بها ، ومن هذه التوازنات ، التعادل بين الأرض والشمس ، والليل والنهار ، والبرودة والحرارة ، والظلام والنور ، والماء واليابسة ، قال تعالى : ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ (١) .

فالوسطية من أبرز خصائص الإسلام ، ويعبر عنها بالتوازن ، ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين ، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ، ويطرد الطرف المقابل ، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ، ويطغى على مقابله ويحيف عليه ، كما قال الله في كتابه : ﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ** ﴾ (٢) .

وإلى هذه الخاصية البارزة يشير قوله تعالى مخاطباً أمة الإسلام : ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً** ﴾ (٣) ، ووسطية الأمة الإسلامية إنما هي مستمدة من وسطية منهجها ونظامها ، فهو منهج وسط لأمة وسط . منهج الاعتدال الي سلم من الإفراط والتفريط ، أو من الغلو والتقصير (٤) .

من هذه التوطئة ينبغي لفقه الواقع لكي يكون إسلامياً أن يصطبغ بهذه الصفة – التوازن – ، ففي دراستنا وإحاطتنا بالواقع ، لا بد أن نعطي كل مفردة من مفرداته حقها في الفهم والإدراك ، فلا نهتم بالواقع السياسي ونهمل الواقع الدعوي ، أو نركز على الواقع الاقتصادي مقابل الواقع الاجتماعي ، فالتوازن يقتضي منا أن نفسح لكل جانب مجاله في الوعي والبصيرة ، ويعطى حقه بالقسط أو القسطاس المستقيم .

وفي تمحيصنا وتفسيرنا لواقع الأعداء ، يجب أن ننظر إليه بتوسط بين التهويل والتهوين ، فالتهوين من شأن الأعداء ، وإبعاد نظرية المؤامرة بالكلية يتنافى مع ما يقرره القرآن : ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ (٥) ، ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى** ﴾ (٦) ، ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ (٧) .

والتهويل في وصف مخططات الأعداء ، وأنهم يحصون علينا أنفاسنا ، ويعلمون السر وأخفى ، ويتحكمون في الواقع العالمي برمته ، يتصادم مع ما قرره القرآن من أن مشاكلنا وأزماتنا أساسها هو الخلل الداخلي لا التآمر الخارجي : ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ** ﴾ (٨) .

---

١ . سورة القمر ، آية ٤٩ .

٢ . انظر الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ، ص ١١٥ والآيات ٧ – ٩ من سورة الرحمن .

٣ . سورة البقرة ، آية ١٤٣ .

٤ . الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ص ١١٨ .

٥ . سورة البقرة ، آية ١٢٠ .

٦ . سورة المائدة ، آية ٨٢ .

٧ . سورة الأنفال ، آية ٣٠ .

٨ . سورة آل عمران ، آية ١٦٥ .

كما أن هذه النظرة المتوازنة ، وهذا الفهم المعتدل ، يحملنا على أن نحيا واقعنا بروح عالية تجمع الآلام مع الآمال ، أو توفق بين التعايش والتفاؤل .

فالآلام حاضرة والتعايش معها ليس منه بد : ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ (١)، والأمل والتفاؤل يبعثه قوله تعالى : ﴿**وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (٢) .

٧ . فقه يجمع بين الثبات والمرونة .

هذه خاصية تتطلب التوازن بين الثبات والتطور ، أو الثبات والمرونة ، فالثبات في الخلود والبقاء ، والمرونة تكون في التغير والتطور .

الثبات يكون في الأهداف والأصول والكليات والمبادئ والقطعيات .

والمرونة تكون في الأساليب والفروع والجزئيات والظنيات .

فنحن نكون في الثوابت أشد من الجبال الراسيات ، وفي المتغيرات ألين من الحرير .

الثبات والتطور في الإنسان والكون والحياة :

إن طبيعة الحياة الإنسانية ، فيها عناصر ثابتة باقية ما بقي الإنسان ، وعناصر مرنة قابلة للتغير والتطور . فالإنسان اليوم قد اتسعت مداركه ، وارتقت معارفه ، وازدادت قدرته على تسخير القوى الكونية من حوله ، والانتفاع بها ، ولكن هل تغير إنسان اليوم عن جوهر إنسان ما قبل التاريخ ، وما بعد التاريخ ؟ كلا . إن جوهر الإنسان واحد ، وإن تطورت معارفه ، وتضاعفت إمكاناته (٣) .

(وإذا نظرنا إلى الكون من حولنا ، وجدناه يحوي أشياء ثابتة ، تمضي ألوف السنين وألوف الألوف وهي هي . أرض وجبال ، وليل ونهار ، وشمس وقمر ، ونجوم مسخرات بأمر الله ، كل في فلك يسبحون ، وفيه أيضاً عناصر جزئية متغيرة ، جزر تنشأ ، وبحيرات تجف ، وأنهار تحفر ، وماء يطغى على اليابسة ، ويبس يزحف على الماء ، وأرض تحيا ، وصحار قفر تخضر ، وبلاد تعمر ، وأمصار تخرب ، وزرع ينبت وينمو ، وآخر يذوي ويصبح هشيماً تذروه الرياح .

هذا شأن الإنسان ، وشأن الكون ، ثبات وتغير في آن واحد ، ولكنه ثبات في الكليات والجوهر ،وتغير في الجزئيات والمظهر) (٤) .

---

١ . سورة آل عمران ، آية ١٨٦ .

٢ . سورة الروم ، آية ٤٧ .

٣ . انظر الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ، ص ٢٠١ .

٤ . المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

من مظاهر الثبات والمرونة لفقه الواقع في القرآن الكريم :

في مجال فقه الواقع السياسي والسياسة الشرعية ، نجد أن الثبات يظهر في المبادئ والقواعد العامة المرتبطة بفقه النص ، والمرونة تكون في الأساليب والآليات التي تتحقق بها هذه القواعد وتلك الأسس أثناء تطبيقها على أرض الواقع المعاش .

(فقوله تعالى : ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾[١] ، ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾ [٢] ، يوجب التقيد بالعدل والالتزام بكل ما أنزل الله ، والحذر من إتباع الأهواء ، وكل هذا مما لا مجال للتساهل فيه ، فهو يمثل جانب الثبات قطعاً في مجال القضاء . وتتمثل المرونة في عدم الالتزام بشكل معين للقضاء والتقاضي . وهل يكون من درجة أو أكثر ؟ وهل يسير على أسلوب القاضي المفرد أم على أسلوب المحاكمة الجماعية ؟ وهل هناك محكمة جنايات وأخرى للمدنيات ... الخ

كل هذا متروك لاجتهاد أولي الأمر ، وأهل الحل والعقد في مثل هذه الأمور ، وليس للشارع قصد فيه إلا العدل ، ورفع الظلم ، وتحقيق المصلحة ودرء المفسدة) [٣] .

الثبات والمرونة لفقه الواقع في الهدي النبوي :

من الأمثلة الدالة على ذلك ، الثبات في رفضه ﷺ للابتكار والاختراع ، وكل فنون الابتداع فيما يتعلق بالعبادات المحضة وأصول الدين ، ويشهد لذلك قوله ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) [٤] .

وتتمثل المرونة في تشجيع الابتكار والاختراع في أمور الدنيا ، مثل وسائل المواصلات التي يشير إليها قوله تعالى : بعد ذكر الخيل والبغال والحمير : ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [٥] ، ومثل أدوات الحرب التي تدخل في قوله تعالى : ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ [٦] ، ومثل صناعة السدود العظيمة التي تشير إليها قصة " ذي القرنين " في سورة الكهف ، وسائر الصناعات الحربية والمدنية ، التي تشير إليها الآية الكريمة : ﴿**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ [٧] .

فالواقع العلمي يقوم على الإبداع والتطوير في حيز التقنيات والمعارف الحديثة ، ولا يكاد تجد نظرية ثابتة أو رأي غير متجدد .

---

١ . سورة النساء ، آية ٥٨ .

٢ . سورة المائدة ، آية ٤٩ .

٣ . انظر الخصائص العامة للإسلام ، القرضاوي ، ص ٢٠٦ .

٤ . المصدر السابق ، ص ٢٠٦ ، والحديث أخرجه البخاري عن عائشة ، فتح البارئ مع صحيح البخاري ، رقم ٢٦٩٧ ، ٥ / ٣٦٨ . وفي مسند أحمد رقم ٢٥٩١١ ، ١٨ / ١١٨ .

٥ . سورة النحل ، آية ٨ .

٦ . سورة الأنفال ، آية ٦٠ .

٧ . انظر الخصائص العامة للإسلام ، ص ٢١٦ ، والآية رقم ٢٥ من سورة الحديد .

ثانياً . مقومات فقه الواقع .

لكل علم أصوله وقواعده التي يبنى عليها، وبدون تلك الأصول والقواعد يصبح علما لا هوية له، وفنا يخضع للأهواء والأمزجة، وفقه الواقع له أصوله ومقوماته التي عنها ينبثق ومنها ينطلق، وهذه المقومات تصونه من استباحة المدعين، وتعين الراغبين في التخصص فيه، والتعمق في بحوره. وبمقدار اكتمال هذه المقومات تتكامل شخصية المنتمي إليه، وحسب تخلف أي واحد منها ينثلم العلم ويضعف صاحبه [١] .

وسأذكر كل مقوم مع إلقاء الضوء عليه، بما يزيل الغموض أو اللبس، ومن الله أستمد العون والتوفيق .

١ . **القناعة بأهميته .**

لا يمكن أن يتخصص في هذا العلم من يتصور أن فقه الواقع مجرد مزيد من الثقافة، أو أن الأمة ليست بحاجة إليه. البوابة الرئيسية للولوج فيه: القناعة التامة بأهميته وضرورته، وأن تعلمه فرض كفاية .

على طالب العلم أن يدرك أن من أسباب تخلف الأمة في عصرها الحاضر جهلها بواقعها، وغفلة بعض طلاب العلم عما يكيده الأعداء ويخططون له، فالمنافقون وأسيادهم ينقضون الإسلام عروة عروة – ضمن تخطيط محكم رهيب– ونحن في غفلة من استبانة سبيل المجرمين، حتى استحكمت العلمنة في كثير من بلاد المسلمين.
ترى لو تنبه الدعاة والعلماء لهذا الأمر منذ عهد الاستعمار هل يحقق الأعداء ما حققوه في عالمنا الإسلامي؟ لأن الوعي يقود إلى العمل ، والعمل يدرأ المخاطر بإذن الله .

انشغل بعض طلاب العلم والدعاة في قضايا مهمة – ولا شك – ولكنهم غفلوا عن قضايا أكثر أهمية، ومنها فقه الواقع، فخلا الجو لأعدائنا، وأصبحوا كما قال الشاعر:

خَلا لَكِ الجَوُّ فَبيضي وَاِصفِري * * وَنَقِّري ما شِئتِ أَن تُنَقِّري [٢] .

ومن هنا فالمقوم الأول أن نقتنع بأهمية هذا العلم وأثره في حياة المسلمين، وحاجة الأمة إليه حاضرا ومستقبلا .

٢ . **التأصيل الشرعي .**

من الملحوظ في واقعنا أن أكثر المعنيين بفقه الواقع ممن لم يدرسوا العلوم الشرعية ولم يتخصصوا فيها، بل إن عباقرة العلم السياسي المعاصر –حسب ما تنشر وسائل الإعلام– من غير المسلمين، ولذا نلحظ في أحداث الخليج مثلا تسابق وسائل الإعلام إلى استطلاع رأي هؤلاء، وكأنهم الحجة وإليهم المنتهى، وهذا سببه عزوف كثير من طلاب العلم عن التخصص في هذا الجانب، بل إن بعضهم لديه قناعة أن هذا الأمر لا يعنيه، حتى رأينا من طلاب العلم من يفسر الحديث المشهور " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " أي بأن يترك أمور السياسة وفقه الواقع لغيره.
بل إن هناك من إذا أراد أن يثني على أحد طلاب العلم، عدد من محاسنه وصفاته العلمية أنه لا يتدخل فيما لا يعنيه – يقصد الأمور السياسية– وهذا تفسير للحديث على غير ما ورد له، وحمل له على غير محمله، وهناك فرق بين أن

---

١ . انظر فقه الواقع ، د / ناصر العمر ، ص ١٠ وما بعدها .

٢ . البيت لكليب بن ربيعة ، اسطوانة الموسوعة الشعرية .

يتدخل المسلم في عمل غيره –مما لا يعنيه–، وبين أن يفقه حدود هذا العمل وأصوله وضوابطه، وبعبارة أدق، فرق بين أن تتدخل في تنفيذ هذا العمل الذي لم تكلف به، وبين أن تقول كلمة الحق إذا تجاوز صاحب العمل حدوده التي شرعها الله، ولن تستطيع أن تدرك هذا إلا إذا فهمت واقعك .

ومن هنا رأينا أن أكثر من يتعاطى هذا العلم يعتمد على الأسباب المادية، ويحلل الأحداث ويتوقع النتائج بعيدا عن الأسباب الشرعية، لأن (فاقد الشيء لا يعطيه) وما بني على خطأ فمآله إلى خطأ.

وَهَل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلّا وَشيجُهُ * * وَتُغرَسُ إلّا في مَنابِتِها النَخلُ [١] .

ولذا فإن أقوى مقوم من مقومات فقه الواقع هو التأصيل الشرعي، وأحق الناس في هذا الجانب هم العلماء وطلاب العلم .

ولا يستلزم أن يكون المتخصص في فقه الواقع أحد خريجي كلية الشريعة، وإنما لا بد أن يكون لديه من العلم الشرعي ما يحتاج إليه في تخصصه، مما لا يعذر بجهله من فرض العين أو الكفاية .

ولنأخذ لذلك مثلا:

لو قامت حرب بين فئة مؤمنة وفئة كافرة، فإن المعني بفقه الواقع ممن يفتقد العلم الشرعي سيحلل الأحداث، ويتوقع النتائج معتمدا على الأسباب المادية فقط، فسيبدأ في إحصاء الجيوش، وما لدى كل فريق من عدة وعتاد، والظروف الجغرافية، وهلم جرا، بينما المتخصص في ذلك ممن يملك الدليل الشرعي سيبين أهمية الأسباب المادية، وأن الله قد أمرنا بالأخذ بها : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** ﴾ [٢] ، ولكنه يعلم أن الأسباب المادية ليست إلا وسيلة من وسائل النصر المشروعة، وأن هناك من الأسباب الشرعية ما تتضاءل أمامه الأسباب المادية، فيبني تحليله وتوقعه ضمن هذا الإطار: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[٣] ، ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[٤] ، ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[٥] .

لهذا أقول : إن من أول ما يجب أن يعتني به المتخصص في هذا الفن أن يبني علمه على أسس شرعية، مستمدة من الكتاب والسنة، وأخص علم العقيدة، فبدونه لن نفقه مبدأ الولاء والبراء، وعليه تبنى العلاقات بين الأمم والشعوب، وبعلم العقيدة نفهم حدود الإيمان وضوابطه، والخوف، والرجاء، والتوكل، وحقيقة النصر والهزيمة، ومن كتاب الله ندرك سبل المجرمين وأساليبهم، وما يجب تجاه ذلك ، ومن سنة المصطفى ﷺ نبني أسس التعامل مع الواقع الذي نعيشه، دون إفراط أو تفريط ، مما يمكن للدعوة ويجنبها المزالق .

وأشير إلى أن هذا لا يمنع من أن نفيد من المتخصصين في العلوم السياسية وغيرها، ممن لم يبن علمه على أصول إسلامية، ولكن بعد عرضها على الأصول والضوابط والمنطلقات الشرعية ، وبهذا تتكامل الرؤية ويتحقق الهدف .

---

١ . ديوان زهير ابن أبي سلمى ، اسطوانة الموسوعة الشعرية . ٢ . سورة الأنفال ، آية ٦٠ .
٣ . سورة آل عمران ، آية ١٧٣ . ٤ . سورة الشعراء ، آية ٦١ .
٥ . سورة محمد ، آية ٧ .

٣ . **سعة الاطلاع وتجدده .**

يختلف هذا العلم عن كثير من العلوم، فهناك بعض الفنون يستطيع طالبها أن يتقنها في فترة محددة، ثم ينتقل إلى غيرها، بينما بعض أنواع العلوم يحتاج المتخصص إلى الاستمرار في متابعتها، وملاحقة الجديد فيها. فمثلا: علم الفرائض علم مهم جدا، بل قيل إنه نصف العلم، ومع ذلك فيستطيع طالب العلم أن يتقنه في فترة محددة، ثم يبدأ في الإفادة منه وتطبيقه، وليس فيه مجال للتوسع إلا في مسائل فرعية، وكذلك علم النحو، فلم يترك المتقدم للمتأخر شيئا، فما علينا إلا أن نتقن ما دوّنه أسلافنا، ولذلك باءت محاولات التجديد فيه بالفشل، وحق لها ذاك .

أما علم فقه الواقع فيحتاج إلى شيئين مهمين :

. **سعة الاطلاع** : نظرا لتشعب هذا العلم وشموله، فيحتاج المتخصص فيه إلى كثير من الفنون، سواء العلوم الشرعية كالعقيدة والفقه، أو العلوم الاجتماعية كالتاريخ، أو العلوم المعاصرة كالسياسية والإعلام، وهلم جرا. وإذا قصر في أي علم من هذه العلوم أو غيرها مما يحتاج إليه، فسينعكس ذلك سلبا على قدرته على فقه الواقع، وتقويم الأحداث، والحكم عليها .

. **التجدد والاستمرار**: فهذا العلم يحتاج إلى قدرة فائقة على المتابعة، والبحث في كل جديد، فهو يختلف عن كثير من العلوم – كما بينت آنفا –، لذا يلزم المتخصص أن يكون لديه دأب لا يكل في متابعة الأحداث، ودراسة أحوال الأمم والشعوب، فلو انقطع عنه فترة من الزمن أثر على تحصيله، وقدرته في فهم مجريات الأحداث وتقويمها. فهو أشبه بالطبيب الذي يلزمه أن يتابع كل جديد في مهنته، فلو أن طبيبا تخرج في الجامعة منذ عشر سنوات، بقي يعالج الناس من خلال دراسته الماضية، دون النظر لما استجد من مخترعات في وسائل العلاج، وما اكتشف من أدوية، لأصبح طبيبا متخلفا عن الركب، فجديد اليوم يصبح قديما في الغد وهكذا .

ولا أبالغ إذا قلت : إن الذي ينقطع عن متابعة الأحداث بضعة أشهر يحتاج إلى فترة مكثفة ليتمكن من ملاحقة الأحداث من جديد، وبخاصة في عصرنا الحاضر، الذي أصبح فيه العالم كقرية، ما يقع فيه شرقه يؤثر يوميا في غربه، وإذا وقع حادث ذو بال في أمريكا أثر على أسواق اليابان في اليوم نفسه، وارتفاع الأسهم في (وول ستريت) بلندن، يؤثر على قيمة الفول في البرازيل.

ومن هنا أصبح لزاما على طالب هذا العلم أن يعي هاتين الحقيقتين، وهما سعة الاطلاع وتنوعه، والتجديد والاستمرار فيه ، وإلا : إذا لَم تَستَطِع شَيئاً فَدَعهُ * * وَجاوِزهُ إلى ما تَستَطيعُ [١] .

٤ . **القدرة على الربط والمقارنة والتحليل .**

هناك عناصر أساسية للوصول إلى حقائق الواقع وتوقع المستقبل، وهي:

– جمع الأخبار والمعلومات.

– المقارنة والربط بين الأحداث.

– تحليل المعلومات والوصول إلى نتائجها.

---

١ . البيت للإبراهيم بن هرمة ، اسطوانة الموسوعة الشعرية .

أما الأول فمسألة آلية يستطيعها كثير من العامة .
وأما الثاني والثالث فتحتاج إلى عاملين أساسيين :
الأول: الموهبة .
ثانيا: الاكتساب .
فلو ضعف أحد العاملين أمكن تداركه بالثاني.

ومن هنا فإن قضية المقارنة والربط ثم التحليل مسألة مهمة وأساسية، وبدونهما تكون النتائج خاطئة، وهذان العنصران لا بد أن يبنيا على أساس متين من التأصيل العلمي والتجربة العملية، مع قدر من الموهبة والذكاء يساهم في تحقيق المناط وتخريجه وتنقيحه .

وبهذا ندرك سر الاضطراب في نتائج كثير ممن يتولون تقويم الأحداث وتحليلها، حيث إنهم يفتقدون القدرة الجبلّية أو المكتسبة للخوض في غمار هذا العلم والغوص في أعماقه. وكثير من الناس يلتبس لديهم الأمر بين من لديه قدرة على جمع المعلومات ومتابعة الأخبار، وبين من يستطيع المقارنة والربط والتحليل والتمحيص .

فيجب ألا نخلط بين العامل في المختبر الذي يستقبل العينات من المرضى، وبين المتخصص الذي يتولى فحصها وتحليلها، والوصول إلى النتيجة من خلالها .

وموضوع الربط والمقارنة والتحليل عملية معقدة متشابكة، تخضع لعدة اعتبارات ومجموعة عوامل، تختلف من واقع لواقع ، ومن حدث لحدث، ومن زمن لزمن .

ولست هنا في سبيل بيان ذلك وشرحه، وإنما أردت أن أؤكد على أهمية هذا المقوم، وعدم الغفلة عنه، ومدى تأثيره سلبا أو إيجابا على فقه الحاضر، ورؤية المستقبل .

٥ . **التفاعل الإيجابي مع الواقع .**

من أجل أن تفقه الواقع لا بد أن تعيش هذا الواقع ، أن تكون عنصرا متأثرا ومؤثرا فيه .
والذي يعيش على هامش الحياة لا يستطيع أن يدرك أبعاد هذا العالم وما يجري فيه .

ولهذا فمن لوازم هذا العلم أن تتفاعل مع الأحداث تفاعلا إيجابيا، تفرح لكل خبر مفرح، وتحزن لمآسي المسلمين ومصائبهم ، ولا تتوقف عند مجرد التأثر فرحا أو حزنا، وإنما يجب أن تكون مؤثرا في هذا الواقع، أي عنصرا عاملا متحركا، متجاوبا مع الأحداث، حسب الحاجة والطاقة .

ولذا فالطبيب الذي يقبع في بيته بعد تخرجه في كلية الطب، لا يفتح عيادة، ولا يكشف على المرضى، ولا يجري العمليات، ولا يتابع المستجدات في علم الطب، ويعالج الناس بالهاتف أو بالمراسلة لا يمكن أن يكون طبيبا ناجحا، وإن أصاب مرة أخطأ مرات، وقد يكون علاجه مهلكا للمريض .

فكذلك المعتزل لحياة المسلمين، البعيد عن شئونهم وشجونهم ، لا يتأثر ولا يؤثر، هذا مهما كتب وحلل وناقش فسيبقى تحليله باردا ساذجا، غير واقعي في كثير من مضامينه :

مَن يَهُن يَسهُلِ الهَوانُ عَلَيهِ * * ما لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ [١] .

تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السَّقامِ وَذي الضَّنا * * كيما يَصحّ بِهِ وَأَنتَ سَقيمُ [٢] .

٦ . **حسن اختيار المصادر .**

مشكلة فقه الواقع تباين مصادره، وتعارضها، فمصادر الفقه كتب الفقه وأصوله، ومصادر اللغة كتب اللغة، أما مصادر فقه الواقع فإنها متعددة متنوعة متباينة، فمن مصادر إسلامية، إلى مصادر مادية، ومن مراجع قديمة، إلى مراجع معاصرة، ومن أخبار المسلمين، إلى أخبار الكفار والملحدين، وهكذا دواليك .
وبهذا يعيش المتخصص في هذا العلم في حيرة من أمره، كيف يختار هذه المصادر ويتعامل معها ؟ .

والذي يرعى الغنم يكتسب بعض طباعها، وراعي الإبل تظهر عليه بعض صفاتها، فكيف بمن يتلقى الأفكار ويعايش العقول؟ فقد يكون ضحية لمصادره التي اختارها، وبالتالي سينعكس ذلك على فقهه للواقع، وتقويمه لمجريات الأحداث، ولذا أصبح حسن اختيار المصادر مهمة صعبة وأساسية، بل هو مقوم من مقومات هذا العلم، فتحتاج إلى دقة وعناية، فكم رأينا بعض المتأثرين ببعض وسائل الإعلام الغربية، حتى أصبح بوقا لها، يبث أفكارها ويردد أهدافها، دون وعي منه أو شعور.

ثم إن هناك أمرا آخر وهو: نظرا لكثرة مصادر هذا العلم وتنوعها لا يستطيع المتخصص الإحاطة بها، فيحتاج إلى حسن الاختيار توفيرا للجهد، واكتفاء بالأحسن عن الحسن، والفاضل عن المفضول، والأهم عن المهم .

وبعد :

فهذه هي مقومات فقه الواقع ، من أقامها انقاد له هذا العلم وتمكن منه، ومن قصر فيها انعكس ذلك على علمه وإدراكه، وهذه المقومات للمتخصص وغيره. أما المتخصص فمن أجل أن تساعده على إتقان هذا الباب والتضلع فيه. وأما غيره فحتى يعرف من أين يتلقى هذا العلم، ويميز بين الجيد والرديء، والخطأ والصواب، فما كل بيضاء شحمة، ولا كل سوداء تمرة ، وكم مدع لهذا العلم وهو لا يحسنه :

والدَّعاوَى ما لم يُقيمُوا عَلَيْها ** بَيِّنَاتٍ أصحَابُها أَدْعِياءُ [٣] .

---

١ . ديوان أبي الطيب المتنبي ، اسطوانة الموسوعة الشعرية .

٢ . البيت للمتوكل الليثي ، المصدر السابق .

٣ . ديوان البوصيري ، القصيدة الهمزية ، المصدر السابق .